

ياعمال العالم اتحدوا

المكتبة التقدمية

جيمس كونوليت

حرب الشوارع

ترجمة منير شفيق

المؤسسة
العلمية
للدراسات
والنشر



حرب الشارع
تجربة سبع ثورات

جيمس كونولولي

By: @SA9BB55

حرب الشوارع

تجربة سبع ثورات

ترجمة:

منير شفيق

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بروت

جميع الحقوق محفوظة
تموز ١٩٧٢

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

شارع كليمونصو - بناية جفينور - الطابق السادس (شقة ٦٠٣ ب)
٣٤٤٠٨٥
بيروت - لبنان

الشجرة الحمراء

«كتب الشاعر الكبير بيتس W. B. Yeats مجموعة من القصائد في رثاء شهداء ثورة ١٩١٦ في ايرلندا ، وهذه احدى المقطوعات منها» .

يا كلمات قيلت همسا !

قال بيرس لكونولي :

« علَّ كلام سياسة
قد اذبل شجرتنا الحمراء
او علَّ رياحا هوجاء
لا تتصف الا في البحر المالح »

وأجاب كونولي :

«تحتاج لأن تنسقى ..
فتعمود الخضراء تكسو كل الجنبات
وتهزُّ النوار
كي يغدو فخر البستان »

وأجاب بيرس :

«لكن من أين الماء ؟»

رد كونولي :

«ان جفت كل الابار
فالامر جلي جدا
ليس هناك سوى دمنا الا احمر
يقدر ان يعطي شجرة
حمراء حقيقية» (١) .

١ - نقلت من مجموعة ديوان بيتس ، نشر شركة مكبلان ، في ٢٠٦ . - الترجم-

مقدمة

اسم جيمس كونولي James Connolly ليس معروفا في بلادنا . ولم تترجم كتاباته الى العربية ، ولم يكتب احد عن سيرته . رغم ان حياته وموته وكتاباته تضعه في مصاف اعظم ثوريي القرن العشرين .

ولد جيمس كونولي عام ١٨٦٨ من ابوبن ايرلنديين من الطبقة العاملة، وامضى الشطر الاول من حياته في سكوتلند ، ثم عاد عام ١٨٩٦ الى ايرلنده لي THEM في تأسيس الحزب الجمهوري الاشتراكي الابرلندي . ثم انتقل الى الولايات المتحدة واسس في نيويورك الاتحاد الاشتراكي الابرلندي عام ١٩٠٧ ، ليعود بعد ذلك ، في عام ١٩١٠ ، الى ايرلنده ليلعب دورا بارزا في الحزب الاشتراكي الابرلندي ، فضلا عن دوره كنقابي عمالـي انتخب سكرتيرا لاتحاد عمال بلفاست Belfast ، والمنظم المسؤول عن الحركة العمالية في الستر Ulster .

لعب دورا بارزا في الحركة العمالية في دوبلن ١٩١٣ - ١٩١٤ ، وأصبح السكرتير العام لاتحاد النقابات فيها ، وقائد جيش المواطن الابرلندي . وقد دأب في هذه الفترة على تبيئة جماهير العمال وال فلاحين عسكريا وذلك لانه رأى في الكفاح الثوري المسلح الطريق لتحقيق التحرير واسقاط الاستغلال . ولهذا راج يحرض على الثورة بكل ما أوتي من قوة ، وقد نظر اليها بمنظار اشتراكي ماركسي ، وراح يعاملها كفن له اصوله العلمية ، ولعل المقالات التي ترجمت في هذا الكتيب تعكس للقاريء العربي مدى اهتمام كونولي وجديته في النظر الى الحرب الثورية كعلم وفن .

عندما اندلعت الثورة في ايرلندا ، عام ١٩١٦ ، كان كونولي احد قادتها الافذاذ نظريا وعمليا وعسكريا . وقد قاد بنفسه الجيش الجمهوري في مدينة دوبلن . ولكن الثورة لم تنجح ، وسقط كونولي مشخنا بالجراح ، وحاكمه البريطانيون بمحكمة عرفية ونفذوا فيه حكم الاعدام رميا بالرصاص في ١٢ ايار (مايو) ١٩١٦ .

اذا كانت الحرب ، كما يقول كلاوسيفتس ، استمرارا للسياسية بواسائل اخرى ، – وهذه موضوعة لا يختلف فيها اثنان – فان القيادة الثورية الحقيقيين امثال كونولي ادركونوا ان الحرب الثورية هي الاستمرار الطبيعي للسياسة الثورية ، ولكن الحرب تم بواسائل اخرى غير وسائل السياسة ، يعني انها مجال خاص له قوانينه التي تختلف عن القوانين التي تحكم الصراع السياسي . ولهذا لا بد من ان تعامل الحرب كحرب ، وتدرس كل معلم بذاته ، وتعالج كفن له قواعده واصوله . وهذا ما فعله كونولي حيث اصبح منظرا عسكريا وقائدا عسكريا وهو العامل النقابي والمناضل الاشتراكي والمفكر الثوري والشاعر الشعبي الفناني .

واذا كان صدق التأثر لا يكشف الا حين يتبع افكاره بالاعمال ، ويوقف حياته من اجل القضية التي آمن بها ، فهذا ما فعله كونولي حتى اللحظة التي توقف فيها قلبه عن الخفقان برصاصات الامبراليين .

عندما اندلعت الحرب الامبرالية العالمية الاولى جاءت محكما لكل من سمي نفسه اشتراكيا او ماركسيا . وقد سقطت امام هذا المحك غالبية قيادات الاحزاب الاشتراكية الاوروبية – الاممية الثانية – وتحولت الى ابواق كل منها تؤيد المجهود الحربي لحكوماتها الامبرالية . ولكن كونولي استطاع بعقليته الفطرية ، وشجاعته ، واخلاصه لقضية الاشتراكية ، ان يرىحقيقة تلك الحرب الاجرامية ، فوقف بكل حزم ضدها . وبهذا التقى مع لينين وكارل ليبنخت وروزا لوکسمبورغ ، رغم انه لم يكن قد قرأ لينين . لقد كتب بعد اربعة ايام من اندلاع تلك الحرب :

« يجب على الطبقة العاملة الاوروبية ، بدلا من ان تلعن بعضها ببعض لصلحة الملوك واصحاب رؤوس الاموال ، ان تنتفض غدا لتنصب المارxis في كل انحاء اوروبا ، محطمـة الجسور ، وقاطـعة طرقـ المواصلـات ، من

اجل القضاء على الحرب . وانه من المشروع تماما ان نسير على هذا الدرب الجيد لكي نsem في القضاء النهائي على الطبقات المفترسة التي تنهب العالم وتسطير عليه» . (مجلة «العامل اليرلندي» ٨ آب (اغسطس) ١٩١٤) . وفعلا كان اول من سار عليه عندما قاد ثورة ١٩١٦ ضد الحرب الامبرالية ومن اجل تحرير ايرلندا وقد تحمس لينين جدا لتلك الثورة ، ومجدها وعثّف كل من شجّبها .

وبعد ، فان المقالات المترجمة هنا تتناول بالدراسة مجموعة من الثورات ، وتركز بشكل خاص على تكتيك حرب الشوارع ، وقد اختتمها كونولي بدراسة مختصرة لشخص فيها سمات قتال الشوارع . وهي لهذا تحتفظ باهمية الدراسات التاريخية ، كما تsem في العلم العسكري ولكن الاهم من هذا وذلك ، كونها ما زالت حية تحتفظ باهمية خاصة حتى في عصرنا الحالي ، ولهذا سيجد الثوار وال العسكريون الشرفاء فيها الاما دروسا عملية .

المترجم

تمهيد

نستهدف ان نقدم تحت هذا العنوان (١) دراسات لاحادث عسكرية وقعت في الماضي ، بقصد انارة اعضاء حركتنا وتوجيههم في العمل الذي اتحدوا من اجل القيام به . واننا لنأمل ان تؤدي الدراسة المدققة لهذه المقالات الى افاده اولئك الذين يطمحون في ان يعرفوا كيف استطاع رجال ونساء شجعان ، في مناطق اخرى ، وازمنة اخرى ، ان يذللو الصعاب ويحققوا شيئا للقضية التي اعتبروها مقدسة . واننا هنا لسنا في مقام اصدار حكم على قدسيه ، او قيمة ، القضية التي ناضلوا من اجلها . اذ ان مهمتنا تنحصر في بحث انجازاتهم من الزاوية التي تكون ذات قيمة بالنسبة لاولئك الذين يرغبون في رؤية جيش المواطن Citizen Army قادرًا على انجاز اي مهمة تناط به .

واننا لنقترح ان يحتفظ بهذه المقالات كمراجع .

جيمس كونولي
قائد جيش المواطن في
مدينة دوبлен

١ - كتب كونولي هذه الدراسات على شكل مقالات متسللة في مجلة «جمهورية العمال» *«Workers Republic»* تحت عنوان «حول الحرب الثورية» . وكان رئيسا لتحرير *«Workers Republic»* هذه المجلة التي لعبت دور المعد الفقري لجيش المواطن الايرلندي . - المترجم -

٢٩ ايار (مايو) ١٩١٥

ثورة موسكو ١٩٠٥

كانت نيران الثورة ، عام ١٩٠٥ ، تتجه ، بقوة ، في روسيا . وابتداء بتظاهرة غير مسلحة توجه بها الرجال والنساء الى قصر القيسير ، ومنها انتشر لهيب الانتفاضة المسلحة الى كل انحاء البلاد .

لقد تقبلت التظاهرات السلمية بوابل من نيران البنادق اطلقها فرسان القوزاق ، وتبعها هجوم فرسان الجيش الذي شق التظاهرات ومزقها بكل قسوة . فاندلعت اضرابات عامة في كل الروسيا جواباً على ذلك الهجوم . وانتقل الشعب من الاضرابات الى الانتفاضة المسلحة ، وتمرد الجنود ، في بعض الحالات ، وانضموا الى الشعب ، بينما استولى بحارة الاسطول ، في حالات أخرى ، على قطع مدرعة من الاسطول القيسيري ، ورفعوا الاعلام الثورية على سارياتها .

وكان من بين تلك الاحداث حدث الثورة في موسكو ، وسيكون موضوع دراستنا هذا الاسبوع لانه تميز ببقاء الجنود مواليين للقيصر ، مما جعله يتحول الى قتال مكتوف بين قوة ثورية وبين قوة حكومية . وبهذا يمكننا دراسة :

١ - تكبيك جيش نظامي بهاجم مدينة دفع عنها بالمتاريس .

ب - تكتيك قوة ثورية تسقط على مدينة في مواجهة جيش نظامي .

ولعل من حسن حظنا في مهمتنا هذه ، بوصفنا مؤرخين ، ان شاهد تلك الاحداث في موسكو صحفى انكليزى لا جدال بمقدراته ، وبنعد نظره ، ووضوح رؤيته ، كما انه مراقب عسكري لا ينداوى ، وهو هـ. نيفينسون H. W. Nevinson لتلك الثورة على كتابه «فجر روسيا» The Dawn of Russia ، فضلا عن علاقاتنا الشخصية بالعديد من اللاجئين السياسيين الروس الذين شاركوا فيها .

كان ثوريو موسكو قد قرروا تأجيل العمل الى وقت آخر طويل ، على امل ضمانة مشاركة الفلاحين لهم . ولكن الاجراءات الفعالة التي اتخذتها الحكومة عجلت باندلاع الاحداث . اذ بينما كان البحث يدور في بيت ما في موسكو حول مسألة هل تندلع «الثورة المسلحة» ام «لا ثورة الان» ، راحت قوات الجيش تطوق بهدوء تلك البناءة التي فيها البيت المذكور . ولم يشعر الثوريون بوجودهم الا بعد ان سقطت قذيفة مدفعة على البناءة من مسافة قريبة ، فقتل او اسر عدد كبير من القادة الذين كانوا في ذلك الاجتماع ، ولكن المدينة كانت في صباح اليوم التالي قد اعلنت الثورة المسلحة .

ثمة تناقض حاد في المعلومات المتعلقة بعدد الثوريين الذين اشتركوا في الثورة . اذ اكدت تقديرات الحكومة التي استهدفت المبالغة باهمية الدور الذي قام به الجيش ، ان عدد الثوريين بلغ خمسة عشر الفا . بينما تقول تقديرات الثوريين من ناحية اخرى ، ان عددهم لم يتجاوز الخمسة مقاتل .اما السيد نيفينسون فيقول ان بحثا دقيقا من اصدقاء الثوريين يمتلك كل التسهيلات لمعرفة الحقيقة ، قدر ان العدد يدور حوالي الف وخمسماة ثوري . ودللت استنتاجاتنا التي استطعنا الخروج بها من فصص اللاجئين السياسيين الثوريين المذكورين اعلاه ، على ان الرقم الاخير يبدو اقرب ما يكون للواقع .

ان اسلحة الثوريين كانت هزلة الى اقصى حدود الم Hazel . اذ لم يكن لدى الالف والخمسماية ثوري غير ثمانين بندقية مع ذخيرة هزلة بالمستوى

نفسه . اما الاسلحة الاخرى فكانت مسدسات افضلها مسدسات سريعة من طراز براونينغ Browning . ويبدو ان عدد المسدسات السريعة تلك كان متوفرا بنسبة جيدة بدليل ان الثوريين قد اعلنوا ، في اثناء القتال ، انهم سيسلحون كل من يتطلع بمسدس براونينغ في « مقابل » طوعه .

وكانت القوة المقابلة ، لهذه القوة الضعيفة ، تمتلك في المدينة ثمانية عشر الف جندي مسلحين ببنادق سريعة تعبا من المخزن الى جانب عدد كبير من مدافع الميدان .

ان القتال الفعلي الذي دام تسعة ايام ، ولم تستطع خلالها قوات الحكومة ، التقدم ، عمليا ، اية خطوة ، سوف ننقل صورته عن المؤلف الذي استشهدنا به اعلاه .

يقول، بالنسبة للتاريس التي قامت في كل مكان تقريبا: «كان الاولاد والبنات الصغيرات يقيمنها في كل ممر ، ولم يكن بالامكان ان يعرف المرء اين هو التراس الذي يدافع التوار عنه ، وain هو التراس الوهمي ، الامر الذي اعاد تقدم الجيش الى حد كبير ، اذ كان الجيش مضطرا لتخفيض وقت طويل لمعرفة طبيعة العقبة التي امامه قبل ان يجرؤ على اجتيازها .

«ان العدد الضخم لتلك التاريس (القد احصيت بنفسي في فجر ذلك اليوم مائة وثلاثين متارسا ، ولم اكن قد احصيت النصف) جعل من الصعب ان يعرف المرء ما هو الهدف الرئيسي للقتال ...

«لا ادري ان كانت هنالك خطة محددة من ورائها ، ولكن اذا حكم المرء على الشكل الذي اخذته ، فسوف تبدو وكأنها تستهدف شق رأس سهم من التاريس الى قلب المدينة مدعوما بمتاريس اخرى على الجانبين من اجل منع تقدم قوات الجيش .

«القد اغلقت المداخل الاربعة للطرق المقاطعة بصفوف مزدوجة او ثلاثة من التاريس . وكانت المسافة بين التراس والآخر حوالي عشرة امتار . واتني لاستطيع ان ارى من عند منعطف سادافويا Sadavoya وعلى مدى مرمي نظري ، التاريس تتلوها متاريس على كلا الجانبين ،

بينما غطت اسلام البرق والهاتف طول الطريق حيث امتدت بعض الالات
متراخية بينما تشابكت بعضها و كانها نسجت نسجا . اما المدارس التي
اغلق ت مركز تقاطع الطرق فقد بدت كحصن حيث شيدت اعمدة اسلام
البرق او الدعامات الحديدية لاسلاك القاطرات الكهربائية (الترام) مسنودة
بالياباب والقاطرات والواح الاعلانات وشدت جميعا بالاسلاك . وانتصب
هنا وهناك قاطرات لتدعى المتراس بينما خفقت على رأس كل متراس راية
صغيرة حمراء .

«لقد راح الرجال والنساء ينصبون المدارس بحماسة بالغة ، وينشرون
اعمدة البرق ، ويلوون القضبان الحديدية ، ويجرّون الجسور الخشبية
من ساحات اعمال البناء .

وانه لم الجدير هنا ان نلاحظ كيف ان كل الاشياء ، بما في ذلك
الثورات الشعبية ، تغير سماتها عندما تغير الظروف التي تعمل ضمنها ،
اذ لم يدافع عن اي متراس ، في موسكو ، في تلك الاساليب التي استخدمت
في الثورات الفرنسية والبلجيكية السابقة .

يقول السيد نيفينسون : «ولكن المقاومة الفعلية لم تأت من المدارس
نفسها ، حيث لم «يتقاتل» اي متراس ، منذ البداية حتى النهاية ، حسب
المفهوم التقديم للكلمة . فقد كانت الاساليب الثورية هنا اشد فعالية واكثر
تعقيدا . اذ كانت المدارس وشبكة الالات في الشوارع الجانبية آمنة من
الفرسان ، وكانت المدارس عبر الشوارع الرئيسية قد جعلت حركة
القوات النظامية بطيئة بالضرورة . وكان الشيء الرابع بالنسبة للجنود في
قتال الشوارع انهم لم يستطيعوا قط رؤية العدو الحقيقي . لقد كانوا
يتقدمون نحو متراس او مدخل شارع جانبي مرسلين امامهم بعض الكشافة
تحت غطاء النيران ، وما ان يزحفوا الى امام ويقربوا من المدارس او
مدخل الشارع الجانبي حتى ينهالوا ببنارائهم على مدارس مفرغة من
المدافعين . ولكن فجأة يجدون انفسهم بعد تخطيطها تحت نيران المسدسات
الكثيفة على بعد خمس عشرة خطوة ، ومن كلا الجانبين . وكان من الصعب
الرد على النيران لانه ما كان امامهم عدو مرتئ يمكن تسديد النار اليه .
وان اقصى ما كان يعتقدون ان يفعلوه هو اطلاق النار بكل اتجاه دون
هدف محدد . ثم فجأة يتوقف اطلاق النار من المسدسات ، بينما يستمر

الجيش بقصف المباني واطلاق النار على التوائف ليتحطم الزجاج وتخترق جدران الغرف ويخرج الاناث في حين يكون الثوريون ، منذ وقت طويل ، قد تركوا تلك المنازل عبر المعرات الخلفية وانتقلوا الى شارع آخر تحضيرا لهجوم آخر معاذل » .

لم ينجح الجيش في سحق مقاومة الثوار ، ولكن الثورة توقفت ، فجأة ، وبالسرعة نفسها التي اندلعت فيها . اما السبب الرئيسي لانحلال الثورة المفاجئ ، فيرجع الى وصول اخبار غير مشجعة من بطرسبرغ التي كان من المتوقع منها امداد موسكو بالمساعدة ، والى شائعات تقول ان جماعة من الفلاحين المعادين طلبت التعاون مع الجيش ضد الشعب الذي « كان يمنع بيع الانتاج الزراعي في سوق موسكو » .

فقد

ان قيام الجيش في جلب مدافع الميدان ، او اية مدفعية اخرى ، الى الاحياء التي يدور فيها قتال الشوارع ، هو ضد كل تعاليم العلم العسكري ، اذ كان من الممكن بلا جدال ان تقع بأيدي الثوار لو لم يكونوا هزيلين التسلح هزاً شديداً . ولو كان هنالك اية مجموعة من الثوار مزودة بذخائر كافية نسبياً لكان على الحكومة ان تحمل موسكو من الثوار بعد ان تدفع ثمنا غالياً من حيث الخسائر بالارواح .

ان قصف المدينة قصها منتظمها ما كان ممكنا الا في حالة واحدة وهي اخلاؤها من السكان الموالين للحكومة ، او ابعادهم عن خطوط الثوار . ولكن مثل هذا الاخلاء ، فضلاً عن الاسباب الاجتماعية ضده مثل هجران اعمال الموالين وممتلكاتهم ، فإن تأثيره المعنوي - اي هجران موسكو - سيكون ذا قيمة عسكرية كبيرة في تعوية مواقع الثوار واجتذاب قوات السبي صفوهم . ولهذا لما وجد الجيش نفسه مضطرا الى القتال في المدينة ، بتلك الصورة ، ضد قوة رديئة التسلیح ، فإن المرء لا يجد اخطاء كبيرة في التكتيك الذي اتبّعه .

وكذلك يجب ان يقال عن الثوار انهم افادوا افاده رائعة مما فس

حوزتهم من وسائل . اذ كانت سياسة حكيمة الا يضعوا الرجال خلف المغاريس ، كما كانت سياسة حكيمة الا يطلقوا النار على مجال بعيد حيث سيكون بمقدور الاسلحة المتفوقة التي لدى العدو ان تسحقهم دون ان يتعرض للخطر . ولكن في المقابل يمكنون في مواقعهم ولا يتركونهما وينتظرون حتى يصبح الجيش في مدى قريب من نيرانهم المنطلقة من اسلحة مختلفة .

لقد كانت هزيمة الثورة حتمية بسبب الافتقار الى التعاون مع المدن الروسية الاخرى ، وبسبب جهل الفلاحين ، ولكن تلك الثورة نجحت في تأكيد الحقيقة القائلة ان الجندي المحترف ، حتى ضمن الظروف العصرية الراهنة ، منعطف تماما في القتال ضد مدنيين ثوريين مصممين على القتال تصميميا اكيدا (١) .

١ - يلاحظ القارئ من هذه المقالة ان كونولى لم يطلع على كتابات لينين حول ثورة موسكو ، خاصة ، مقالة « دروس ثورة موسكو » ، ولكن رغم ذلك استطاع ان يلمح ما هو جوهري في تجربة ثورة موسكو ١٩٠٥ من الناحية العسكرية ، ولا شك في انه كان سيفني دراسته هذه كثيرا لو اناهت له الظروف الاطلاع على ملحوظات لينين العسكرية حولها .
- المترجم -

٥ حزيران (يونيو) ١٩١٥

الانتفاضة المسلحة في التирول Tyrol

لقد عادت التيرول لتحتل موقع الصدارة كمسرح للعمليات العسكرية، في مجرى تطور الحرب الحالية بين إيطاليا وبين الولايات الوسطى . لذلك فإن قصة الانتفاضة المسلحة في التيرول عام ١٨٠٩ ستكون ذات أهمية مزدوجة للقارئ . فهي من ناحية تصور دروس حرب اهلية ، كما تصور من ناحية ثانية طبيعة الشعب والبلاد موضوع البحث .

ان التيرول ، في الواقع ، جزء من سلسلة جبال الألب ، ذلك الجزء الذي يمتد شرقاً من جبال الألب السويسرية شاقاً طريقه بين الحدود الجنوبية لالمانيا وبين الحدود الشمالية لإيطاليا . وهو جزء من البلاد النمساوية ، ويتكلم سكانه اللغة الالمانية ، وأغلبهم شديدة التمسك بالعقيدة الكاثوليكية . وقد وصفهم المؤرخ الانكليزي اليsonian Alison باوصاف تبدو غريبة الآن بالنسبة لوجهة النظر الانكليزية الرسمية تجاه كل ما هو الماني . يقول اليsonian «ان السكان ، مثلهم مثل كل أولئك المنحدرين من أصل الماني ، يتميزون بالشجاعة ، والحيوية ، والامانة ، والتمسك بالتقاليد ، وعدم الخوف من الخطير ، وبالادمان على شرب الخمر» . ان الوصف الاخير – الادمان على الخمر – ليس وصفاً مميزاً لاي شعب في وقت كان السكر فيه قانوناً عاماً يشمل كل الشعوب الاوروبية ، وكان هنا في هذه الجزر اسواء من اي مكان آخر . ولكن

التيروليين كانوا معتادين ايضا على استخدام السلاح ، وقد ادى التمرن على الرماية في فرق الميليشيا ، والزمر المدرية ، كما في الصيد ، الى جعل قسم كبير من شبان التيرول ممتازي التسديد على الهدف .

لقد انتزعت التيرول من الامبراطورية النمساوية بعد هزيمة النمسا من قبل نابليون عام ١٨٠٥ ، وضمت الى بافاريا Bavaria حليفة نابليون وفقا لمعاهدة بريزبرغ Presburg . لقد قاوم التيروليون تسليم بلادهم على هذه الصورة ، مقاومة ازدادت حدتها بسبب المسلك المتهتك الذي سلكه الجنود الفرنسيون الذين ارسلوا كحامية عسكرية الى تلك المقاطعة . وبعد ان تفكك التيروليون بما حل بهم من مصائب قرروا القيام بثورة فسعوا لدى امبراطور النمسا واخذوا منه وعدا بمساعدتهم والتعاون معهم .

لقد كان هنالك ثلاث شخصيات قائدة في الثورة ، سواء في التحضير لها او في تنفيذها . وهؤلاء هم اندریاس هوفر Andreas Hofer وسبیکباکر Joseph Haspinger وجوزيف هاسبینغر Spechbacher وكان هوفر القائد صاحب حان، وذا تأثير محلي واسع حصل عليه نتيجة لشخصيته القوية، وللفرص التي اتاحتها له عمله في التعامل مع الناس . وهو عمل كان في ذلك الوقت مهما جدا قبل اختراع القatarات الحديدية . أما سبیکباکر فكان مزارعا وخطيبا ، وكان مطلوبا للعدالة ، وملحقا لمدى عدة سنوات قبل ان يتزوج ويستقر . أما جوزيف هاسبینغر فكان راهبا وقد عرف بسبب لون لحيته بلقب روث - بارت Roth-Bart او صاحب اللحية الحمراء .

ويلاحظ هنا انه لم يكن بين هؤلاء القادة الثلاثة من هو عسكري محترف ، ومع ذلك استطاعوا فرادى وجماعيا ، ان ينزلوا الهزيمة بأفضل جنرالات الجيش الفرنسي - الجيش الذي هزم العسكريين المحترفين في كل اوروبا .

حدد اليوم الثامن من نيسان (ابريل) ، عام ١٨٠٩ ، موعدا لاندلاع الانتفاضة ، واعطيت علامة البدء في ذلك اليوم بالقاء اكواخ من تشاره الخشب في نهر ريفر إن River Inn الذي حملها ليدور بها عبر اودية الجبال كلها ، وتبع ذلك اشعال النار على رؤوس التلال ، وانتقال النساء

والاطفال من بيت لبيت موصلين قصاصات ورق كتب عليها «لقد حان الوقت» .

وكانت الثورة في احدى المناطق ، وهي سانت لورينزو St. Lorenzo قد سبقت بإجراءات من الجيش حيث علم قادة الجيش بمشروع الثورة، فحاولوا احتلال جسر يتحكم بطرق المواصلات بين الجزء العلوي من الوادي وبين برونيكين Bruneken . ولم ينتظروا لمنع الجيش من احتلال الجسر ، فتحرك ريد Wrede الجنرال البافاري على رأس الفي رجال ومعه ثلاثة مدافع لسحق تمرد الفلاحين . ولكن الفلاحين استخفوا وراء الصخور والاشجار ، وأفادوا من كل غطاء قدمته الطبيعة لهم ، وراحوا يمطرون الجيش بوابل من النيران ، فلحقت به خسائر فادحة ، ولكنه اندفع الى امام واخذ الفلاحون يتراجعون الى الخلف . وهنا وصلت قوات من الحرس النمساوي جاءت لمساعدة الثوار ، فتراجع البافاريون . وعندما وصلوا الى الجسر عند لاديتشن Laditch كانت الملاحة كثيفة للغاية مما اضطرهم الى الانقسام الى فوجين ، احدهما سار باتجاه أعلى النهر بينما زحف الآخر باتجاه المعاكس . وكانت النتيجة ان اخذ القسم الاعظم من تلك القوات اسرى عند بالزانو Balsano ، ووقع جنرال بين الاسرى.

لقد تسلم هوفر القيادة في ستيرزينغ Sterzing ، حيث واجه الفلاحون هجوما من قوات كبيرة من الجيش، ولكنهم احتموا وراء الصخور والشجر وصدوا هجمات المشاة . وعندما جلبت المدفعية اضطرتهم طبيعة الارض على الاقتراب الى مسافة اصبحت فيها ضمن مدى نيران البنادق ، وكانت النتيجة ان استطاع قناصة الفلاحين ان يسقطوا رجال المدفعية ، وما ان تحقق ذلك حتى اندفع الثوار واكتسحوا كل ما امامهم بهجمتهم الكثيفة ذات الرخم ، فأسر ثلائة وتسعين جنديا وسقط مائتان وأربعون بين قتيل وجريح .

وتحرك رتل فرنسي تحت قيادة الجنرالين بيسون Bisson وريـد Wrede ، وحاول شق طريقه عبر برينز Brenner ، وترابجـع الفلاحون من امامه حتى وصلوا لوبـع Lueg الذي يشكل مضيقا بين

جلبين ، وهنا هدم الثوار الجسور ونصبوا التاريس في الطرقات وكانت اكواما من الاشجار ، فاصطدم الجنود بها وراحوا يتلقون بالجملة ااما الجسور والتاريس بينما اندفعت مجموعة منهم تحاول شق الطريق .

وفي ذلك الوقت هاجمت كتلة كبيرة من الفلاحين انزبروغ Innsbruck عاصمة التيرول واستولوا عليها . ولكن قوات بيسون وريد استطاعت في النهاية شق طريقها عبر برينتر بينما استمر الثوار في كل نقطة يهاجمون اجنبتها ومؤخرتها ، ويقتلونها من خلف مكامن حسنة التغطية ، ويندفعون لسحق اي جزء شاء مصيره العاشر ان يعزل عن الجسم الرئيسي للقوات الذي استطاع بعد لاي ان يصل الى الارض المكشوفة ولكن ليجد المدينة تحت سيطرة الثوار، ويجد امامه كتلا من الاعداء الملتحين ينتظرونها خلف مواقع استراتيجية . ودارت معركة قصيرة بين قوات بيسون وبين الثوار ولكن سرعان ما وجد نفسه مطوقا بين نارين فاستسلم ومعه حوالي ثلاثة آلاف جندي .

سيطر سبيكباكر على هول Hall في التيرول الاسفل . وثمة دليل رائع على شمولية الثورة يمكن رؤيته هنا من خلال الواقعة التالية وهي نقل اربعينية سجين من الجيش الفرنسي تحت حماية مكونة من نساء مسلحات لأن الثوار كانوا بحاجة لوضع كل الرجال على خط النار .

لقد انزل الثوار ، خلال اسبوع واحد ، الهزيمة بعشرة آلاف جندي نظامي كانوا قد خاضوا عشرات الحملات العسكرية ، وأسرروا منهم ستة آلاف .

شارك الاولاد والنساء في معركة انزبروغ Innsbruck في ٢٨-٢٩ ايار (مايو) ، اذ راحوا ينقلون الطعام والماء والذخائر للثوار . وعندما استنفذ الثوار رصاص الرشاش راح الاولاد والنساء يعيدون جمعه ليستخدمه الثوار من جديد . وكان من بين هؤلاء ابن سبيكباكر ويبلغ من العمر عشر سنوات ، وكان اكثرا الجميع نشاطا وجراة .

ولكن بعد الهزيمة الكلية التي مني بها النمساويون وسقوط العاصمة فيينا بيد نابليون ، عاد الجيش الفرنسي فاستولى على مدينة انزبروغ بقوة

تبلغ ثلاثة ألف جندي . ودعا الجنرال الفرنسي قائد الحملة هو فر للظهور في إنزبروغ فأجابه هوفر انه : «سيحضر ولكن مع عشرة آلاف من القناصة » .

لقد هبطت معنويات الفلاحين ، في البداية ، بسبب تخلي النمساويين عنهم ، وعاد كثير منهم الى بيوتهم . ولكنهم عادوا فتجمعوا تلبية لنداءات قادتهم ، وبهذا اندلع القتال من جديد في الرابع من آب (اغسطس) .

تحرك رتل من الفرنسيين والبافاريين لقطع جسر لاديشن Laditch الذي يوصل الطريق الرئيسي من بالزانو Balsano عبر نهر ايزاخ Eisach بالطريق الرئيسي الى العاصمة . كان التيروليون تحت قيادة هاسبنغر قد احتلوا الغابات التي كانت تكسو الجبال . وعندما اصبح الجيش كله في مضيق جبلي انطروه بالرصاص واهالوا عليه الصخور دون ان يكشفوا مواقعهم . وراح الجنود يتلقون مع كل خطوة يخطونها ، وراحت الصخور تسد العابر امام الاجحة . ولكن الجنود استمروا في شق طريقهم حتى وصلوا اضيق نقطة في ذلك المضيق واذا بالهدوء والصمت يخيمان على جنبات الجبال ، فخيما ربعة معهم وتوقف الرتل لا اراديا ..

وهمس صوت في ذلك السكون :

« اسطيفان ، هل ابدا ؟ هل ابدا ؟ »

وأجابه صوت آخر هاما :

« ليس بعد ، ليس بعد » .

استرد الجنود رباطة جاشهم ، واستأنفوا الزحف بصمت وحذر ، ولكن ما ان توغلوا اكثر فاكثر في ذلك الممر المخنوق حتى اندفع الصوت الآخر قائلا :

« الان ، باسم الآب والابن والروح القدس ، ارخوها » ، وما ان لفظت

الكلمة الاخيره حتى افلت سد من قرومات الشجر كان يحتجز اطنانا من الصخور التي كدست خلفه ، وراحت تلك الكتل الضخمه تتدحرج مثل الانهيارات الثلوجية على رؤوس الجنود جارفة معها سراياها وتاركها خلفها اجسادا مهروسة . ولكن على الرغم من هذه الكارثة اندفع الرتل يشق طريقه باتجاه الجسر ، وما ان وصله حتى رأى النيران تنهشه مصحوبه بتيار من النيران يمنع تقدمه ، فتراجع الجيش باتجاه النقطة التي بدا زحفه منها واستمر الرصاص ينهال عليه طوال الطريق من عدد غير مرئي ، وبلغت خسائره الفا ومائتهاي رجل .

حاول المارشال ليفيبر Lefebre ، في العاشر من آب (اغسطس) ، على رأس عشرين الف رجل ان يشق طريقه عبر بريزرن . فراحت زمرة صغيرة من الثوار تهاجمه من كل نقطة ، فتعطل تقدمه ، وقامت العرقليل في طريقه ، بكل عقبة يمكن ان تزودها الطبيعة ، او يمكن ان تقترحها العبرية الانسانية . وكانت النتيجة ان الجيش تراجع وقد خسر ٢٥ مدفوا فضلا عن كامل ذخائره .

وهوجم الجيش الفرنسي ، في ١٢ آب (اغسطس) ، في إنزيبروغ من قبل قادة الثوار الثلاثة ، ونزلت المذبحة به رغم انه كان مؤلغا من ثلاثة وعشرين الف جندي مشاة ، وإلغي جندي من الفرسان ، وأربعين مدفع ميدان . وبهذا وفي هوف بوعده في القدوم الى إنزيبروغ «ومعه عشرة آلاف من القناصة» . وخسر الفرنسيون ستةآلاف ما بين قتيل وجريح واسير.

كانت هذه آخر الانتصارات البارزة التي حققها الثوار ، اذ بعد ان عقد الفرنسيون سلما مع النمسا ، ولم تكن هنالك حرب اخرى تشغليهم، استطاعوا التركيز على التيرون فجمعوا قوة كبيرة جعلت اية مقاومة محالة . وعاد الثوار الى بيوتهم ، وتخلوا عن المقاومة .

ملحوظات

كانت طبيعة ارض التيرول ملائمة جدا لطراز القتال الذي شنّه الثوار ، ولكن عبرية الثوار لعبت ايضا دورا حاسما . فقد أفادوا من كل غطاء ، ولم يكشفوا انفسهم الا نادرا ، وحذروا دائما من ان تحصل شجاعتهم الى تهور .

لقد بذل الثوار اقصى الجهد لاغراء المدفعية من الاقتراب الى مدى تصبح فيه ضمن مدى نيرانهم ، فكانوا يكتمنون بهدوء قدر الامكان حتى تصبح المدفعية ضمن مدى بنادقهم ويكون بالقدر اقتناص رجالها . وقد اخذ الثوار هذا الموقف نفسه في حالات تبدو كأنها مناقضة مباشرة لكل علم عسكري ، وذلك حين بدأوا وكانهم قد تخلوا عن اي قتال جبهي في ارض مكشوفة ، وسمحوا للعدو ان يتقدم ويقترب منهم اقتربا شديدا دون ان يفتحوا عليه النار . ولكن ما يبدو خطأ في تكتيكم قام على اساس حكم سليم ما دامت الاسلحة المتفوقة بيد العدو تستطيع سحق اي مواجهة من مسافة بعيدة ، بينما اضطرار الجيش النظمي ان يقترب جدا قبل الاشتباك بالنيران جعله يفقد تفوقه الاساسي على الثوار ، وينحرم من مزاياه في الانضباط والنظام وقيادة الضباط الماهرين .

١٩١٥ حزيران (يونيو)

الثورة في بلجيكا

اجتمعت الدول الحليفة في فيينا عام ١٨١٥ ، بعد ان هزم نابليون وخلع نهائيا ، ومضت تبحث مسألة مصير اوروبا .

كانت كل الدول الاوروبية التي تحالفت مع الامبراطورية البريطانية ضد نابليون قد اعلنت للعالم ولشعوبها ، في اثناء الحرب ، انها تقاتل من اجل الحرية والحقوق القومية وضد الاضطهاد الاجنبي . ولكن اولئك الحلفاء ، في اجتماعهم في فيينا ، راحوا يتذكرون بفظاظة لكل الاشياء التي افترض انهم قاتلوا في سبيلها . وكانت النتيجة ان امما قسمت تقسيما ضد مصالحها القومية ، كما حدث في حالة ايطاليا ، او اخضمت لحكام اجانب جدد دون اخذ رايها كما حدث في حالة بلجيكا . اذ اخضمت بالقوة تحت حكم هولندا . ولم يكن باستطاعة بلجيكا ان تقاوم ما دامت كل دول اوروبا عدا فرنسا ، قد مثلت في مؤتمر فيينا ، وكانت جيوش كل اوروبا رهن اشارة تلك الدول لفرض بنود اتفاقيات المؤتمر . ويمكن القول هنا ان تقرير مصير اوروبا من قبل القوى الحليفة جاء معارضة صارخة لارادة شعوبها ، وتذكرا فقط واجهاصا لكل ما ظاهر الحلفاء انهم يقاتلون في سبيله ، وكانت النتيجة اندلاع سلسلة من الثورات في الدول الاوروبية .

لقد اتهمت هولندا في حكمها بلجيكا بأنها تشن حملة منظمة ضد كل

مظاهر للحياة الوطنية البلجيكية او تعبير عنها . وانهمها البلجيكيون ايضاً بأنها حرمت اللغة البلجيكية القومية وجعلت الاولوية الرسمية لغة الهولندية . وسعت لوضع موظفين هولنديين في كل المراكز وطرد الموظفين البلجيكيين الذين لا يقلون كفاءة . وانها روجت للصناعات الهولندية باستصدار تشريعات تسهيلية وراحت تعرقل الصناعات البلجيكية ، واخيراً ان بلجيكاً عواملت من كل النواحي كمنطقة محتلة لا كدولة حليفة .

راح البلجيكيون يثرون هذه المظالم بطرق مختلفة ولجأوا الى مختلف المجهودات لايجاد علاج ولكن لم يوجد ذلك نفعاً . وكانت النتيجة ان اندلعت الثورة في بروكسل عام ١٨٣٠ اي بعد خمس عشرة سنة من قرارات مؤتمر فيينا .

هاجمت مجموعة مسلحة في الخامس والعشرين من آب (اغسطس) ١٨٣٠ دار الطباعة والنشر التابعة للجريدة الرئيسية الموالية للهولنديين « الوطني National » وبعد ان اجهز عليها شن هجوم آخر على مجموعة من مشاغل صنع الاسلحة واغتنم ما فيها من سلاح . ثم هوجم بيت وزير العدل الهولندي م. مانين M. Van Mannen واحرق ودمراً تماماً .

دعى الجيش في ٢٦ آب (اغسطس) للتدخل ، واندلع القتال في الشوارع . وكانت الجماهير قد حصلت على كمية جيدة من السلاح والذخائر وتصدت ، بنجاح ، لهجمات الجيش . وما كان من الجيش الا ان انسحب باكمله الى القصر الملكي . اما سبب هذا الانسحاب فقد وصف في الصحافة الانكليزية ، في حينه ، على الصورة التالية :

« على القوات النظامية ، في حرب الشوارع ، ان تجمع قواتها وتعمل ككتلة واحدة، اذا اريد لها ان تكون ذات تأثير فعال، وان لا تقاتل تحت ظروف غير ملائمة مطلقاً » .

وبهذا اخلت شوارع المدينة لتطلق فيها يد الشعب الذي استمر في التنفيذ عن انتقامه ضد بيوت الموظفين الرسميين ودور الحكومة . وقد هوجمت بيوت النائب العام ومدير البوليس وحاكم المدينة وسحب اثاثها

الى الشوارع وأحرق .

كانت الطبقة الوسطى البلجيكية حتى هذه اللحظة تراقب الاحداث مراقبة سلبية ، ولكنها بذات الان تنظم نفسها في حرس محلي لتدافع عن ممتلكاتها وأخذت مواقعها في المدينة ، اما عنوة ، واما باتفاق مع العمال المسلمين الذين تحملوا لوحدهم حتى الان كل عبء القتال . لقد جند خمسة آلاف في الحرس المحلي وعين البارون هوغفورست Hoogvorst قائدا عليها . وتم احتلال كل الواقع العسكري في المدينة من قبل الحرس المحلي ، بينما بقي الجيش سلبيا خارج المدينة .

انتخب الحرس المحلي لجنة السلامة العامة التي اصدرت بيانا اوضحت فيه مظالم الامة البلجيكية ، وطالب باجراء اصلاحات . ونص البنـد السادس في البيان على ان :

« يوزع الخبز على كل العمال المحتاجين لتأمين حاجتهم الى ان يستأنفوا عملهم . »

عندما حاول الجيش الملكي ان يزحف الى بروكسل بلغ وهو في الطريق انه سيواجه بمقاومة ، اذا حاول الدخول الى المدينة ، بينما سيحافظ الحرس على النظام اذا بقي الجيش خارجها .

لم يكن هنالك ، حتى ذلك الوقت ، اي حدث حول الانفصال ولكن الاعلام الملكية مرتقا ، وارتقت على المعارض رايات بلجيكية مميزة ، وحمل الشعب المسلح رايات مماثلة .

ارسل امير اورينج Prince of Orange في ٣٠ آب (اغسطس) موافدا يعلن انه في طريقه للدخول المدينة . وعاد رسوله بجواب يقول ان باستطاعته المجيء لوحده او مع حرسه الخاص . وما كان منه الا ان هدد بقصف المدينة ، ورد الشعب عليه باشادة المدارس في كل الشوارع المؤدية الى المدينة ، وتركيز قوات على ابوابها . وعندئذ اعلن الامير امرا يتطلب فيه من السكان ان ينزلوا اعلام الثورة وشماراتها ، وانه سيدخل المدينة ويتولى امورهم . وقد رفض هذا ايضا ، فما كان منه الا ان وافق على دخول

المدينة منفرداً .

ارسل وفد الى لاهاي ليضع بين يدي الملك مطالب البلجيكيين وكان استقبال الملك للوفد استقبلاً ودياً للغاية ، كعادة الملوك دائمًا عندما يكونون في محنة ، ووعد بإجراء عدة اصلاحات ولكنه أصر على دخول ابنه الامير الى بروكسل على رأس قواته ، وطلب من اعضاء الوفد ان يتفاوضوا مع وزير الداخلية . وتم هذا الاجتماع وتقدم اعضاء الوفد فيه بطلب جديد – انفصال بلجيكا عن هولندا وجعلها مملكة مستقلة في ظل الملك نفسه .

عندما وصلت الامور عند هذه النقطة انقسمت البلاد ، كما هو الحال في ايرلندا في يومنا هذا ، اذ تقدمت انتويرب Antwerp وجينت Ghent بعرائض ضد الانفصال ، بينما اعلنت تورني Tournay وفي فيز Verviers ومونز Mons ونامور Namur الانفصال واستولى الحرس المحلي في كل منها عليها واعلن الثورة . وتبعت بروغز Bruges خطاهما . وتقدمت الطبقة العاملة في كل من هذه المناطق بتسلم القيادة واجبرت الحرس المدني على الخلاص من تردد ، وجعله يتضمن لصفوف الثورة .

لقد ضاقت الطبقة العاملة في بروكسل ، ذرعاً من تردد وتذبذب ممثلي الطبقة الوسطى ، فتسلمت زمام الامور بيديها وزحفت في التاسع عشر من ايلول (سبتمبر) على دار الحكومة Tours Hall معلنة التمرد واستولت على اربعين مركز سلاح واستولت في اليوم التالي على دار الحكومة وسائر الواقع العسكري في المدينة ، وكان حظها جيداً اذ حصلت على كميات كبيرة من السلاح والذخائر . وحلت لجنة السلامة العامة التي شكلتها الطبقة الوسطى ، وأسست مكانها حكومة مؤقتة .

زحف الامير فريدرريك في الحادي والعشرين من ايلول (سبتمبر) على بروكسل وامر الحرس بتسليم مواقعهم ، وانزال كل اعلام الثورة ، وطرد كل المسلحين الغرباء ، وهدد بأنه سيعتبر اعضاء لجنة السلامة العامة ، واعضاء مجلس ضباط الحرس ، واعضاء هيئة البلدية مسؤولين شخصياً عما يمكن أن يحدث . ولكن كانت كل هذه الهيئات محلولة فذهب تهدده ادراج الرياح . واستعد الشعب للقتال .

انتصب المدارس في كل الشوارع وعلى مداخل المدينة ، وحطمت الارصفة واخذت حجارتها الى اسطح المنازل في الشوارع التي سيمر منها الجيش . واتخذت كل الاستعدادات الضرورية ، وكانت النساء ، بشكل خاص ، نشطات للغاية في انجاز الاستعدادات . وابتدأ القتال في الثاني والعشرين من الشهر ، وقد بقي المواطنون من الطبقة الوسطى الذين كانوا اعضاء في الحرس المحلي ، في بيوتهم ، وبعيدين عن القتال .

ابتدأ الجيش هجومه على ست نقاط مختلفة او قل ست مناطق واستطاع انتتاحها وهي فلاندرز Flanders واوديرليخت Auderlecht شااربيك Schaarbeek ولاكن Lacken ونامور Namur ولو凡 Louvain . لقد استطاعت المدفعية اختراق الابواب والمارس الملحقة بها ، بسهولة ، ولكن ما ان تقدم الجيش واذا بالعرقيل تقف الواحدة تلو الاخرى امامه ، وبدت المقاومة وكأنها تضاعف نفسها مع كل خطوة نحو داخل المدينة واخذ القتال يزداد كثافة وزخما كلما تم التوغل في المدينة اكثر . لقد اكتسح الجنود عند بوابة فلاندرز كل ما امامهم بقصد مدفعي مركز ، وتقدموا بثبات الى ان اصطدموا بمتارس قوي عند منعطف الشارع حال دون وصول المدفعية اليه . وهنا تعرض الجيش لنيران حامية من خلف المدارس ، وانطر ببابل من الحجارة انهالت عليه من على الاسطحة ومعها قطع الايثاث الثقيلة والقضبان الحديدية والبلطات وكل ما يمكن ان يقذف . وبهذا صدوا واضطروا الى التراجع . وكان مصير الجيش عند بوابة اوديرليخت لا يختلف عن مصيره بعد بوابة فلاندرز ، اما عند بوابة لاكن Lacken فقد استطاع الثوار اجبار الجيش على التراجع بعد ان مني بخسائر فادحة .

ان الفرقة التي هاجمت من بوابة سكاربيك شقت طريقها حتى وصلت ساحة مكشوفة فالتجات اليها بعيدا عن الاحياء المزدحمة والشوارع المعادية ، فتوقفت فيها دون ان تجرؤ على التقدم نحو الشوارع . ااما الفرقتان اللتان هاجمنا من جهة بوابتي نامور ولو凡 فقد شقتا طريقهما الى مسافة قصيرة ، وتوقفتا دون ان تجرؤا على التقدم اكثر .

انضم الطبقة الوسطى في الرابع والعشرين الى صفوف الثوار من

الطبقة العاملة وتجدد القتال بزخم جديد . ولم يستطع الجيش بعد يوم طويل من القتال الضاري ان يتقدم رغم انه استطاع السيطرة على شارع واحد . اما الثوار فقد بقوا مسيطرین على المدينة ولكنهم ما كانوا منظمین جيدا ليصعب بمقدورهم طرد الجيش من موقع القدم الذي ناله في المدينة .

تدفق المتطوعون في ٢٦ و ٢٧ من ذلك الشهر ، من المناطق المجاورة وانضموا الى الثوار ، مما شجع الثوار فراحوا يشددون الخناق على الجيش لطرده من المدينة ، وما كان من الجيش الا ان تخلى عن القتال ، وانسحب من المدينة ، بعد ان اعتقاد بان وضعه ميؤوس منه .

بلغ مجموع خسائر الثوار من ٢٢ حتى ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٦٥ قتيلا و ٣١١ جريحا .

لم يعد للحكومة اية سيطرة على بلجيکا ، بعد الانسحاب من بروکسل ، عدا في بعض القلاع . وراحت الجماهير تنتفض في كل مدينة ، كما اخذت القوات البلجيكية تنضم للثورة ، ولم يمض وقت طويل حتى تهاوت القلاع الواحدة بعد الاخرى واصبحت تحت سيطرة الثوار .

لقد اسرت الحامية الهولندية في كل من ات ATH ومونز Mons . اما في نامور فقد تخلت الحامية عن الحصن شريطة السماح لها بمغادرته . واقدم الف ومائة رجل من حامية لييج Liege على اقتراح الشروط نفسها . وظلت جنت Ghent مستعصية على الثورة حتى ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) عندما استسلمت حسب الشروط نفسها التي استسلمت فيها نامور .

استولى البلجيکيون على اكثر القلاع ولم يبق خارج سيطرتهم غیر انتويرب Antwerp ومباسترخت Maestricht ولوکسمبورغ Luxemburg .

وعقد مؤتمر وطني في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) وأعلن تأسيس مملكة بلجيکا التي تم الاعتراف بها فيما بعد من قبل كل الدول الاوروبية .

ملحوظات

لقد أدى انتصار الثورة في بروكسل ، وتمكن قوات مدنية مسلحة من التصدي لقوات نظامية الى تكريس فكرة سادت اوروبا تقول ان من واجب الضباط الذين يقودون جيشا نظاميا ان يرفضوا ، ضمن مثل تلك الظروف ، القتال في الشوارع ، ويحافظوا على الدخول في معارك نظامية، او يقعنوا بحصار المدينة . وقد انحدرت وجهة النظر الرسمية الانكليزية من هذه النصيحة التي أصبحت في تلك الفترة بمثابة البدهية .

يجب تذكر نقطتين في اثناء دراسة ثورة بروكسل :

الاولى : ان الثورة في بروكسل ، عكس الثورات الاوروبية الاخرى ، لم تواجه عموما جيشا مخلخلا . لقد كانت صراعا بين امتين . ومن هنا فقد انتصرت الثورة في بروكسل بسبب قوتها ومركزها العسكريين فقط.

الثاني : ان اختراع بارود لا يترك دخانا جعل قتال الشوارع على الجيش النظامي شديد الوطأة ، ومحطما للمعنويات ، لانه لم يعد بعقدر رؤية مصدر الرصاص الذي راح يمزق صفوفه .

١٩١٥ حزيران (يونيو)

الدفاع عن آلامو Alamo

انفصلت المكسيك ، عام ١٨٢١ ، عن مملكة اسبانيا ، ودخلت مرحلة اضطرابات وقلائل داخلية . وكانت ولاية تكساس الامريكية الان ، جزءا لا يتجزأ من الجمهورية المكسيكية في ذلك الوقت . وكانت غالبية سكانها من المكسيكيين وبعض الفئات الاسبانية او فئات من اصل امترزاج هندي - اسباني ، ولكن كان الى جانب هؤلاء عدد كبير من المهاجرين الذين جاءوا من الولايات المتحدة ، وقد امتلك بعضهم ارضا بموجب قانون الحكومة المكسيكية ، بينما كان الاخرون من الصيادين وبائعي جلود الحيوانات والgamblers . وكان هؤلاء الاخرين غير مبالغين للخضوع للقوانين المكسيكية، خاصة وان التغيرات المختلفة التي حدثت في الحكومة المكسيكية جعلت تلك القوانين في وضع مقلقل ، ومما زاد الاشكال حول هذه المسالة هو عدم وضوح الكيفية التي سيطبق فيها المسؤولون الجدد هذه القوانين . وبالتالي زاد الاضطراب جسامة مع ازدياد اعداد المهاجرين ، ومع اختلاف امزجة كل حاكم جديد . واذا اضفنا الى هذا الوضع المضطرب تلك المخططات التي صممها ملاك العبيد في الولايات المتحدة والتي استهدفت توسيع مناطق العبودية جنوبا . لان ملاك العبيد الذين لم يستطيعوا توسيع الحزام العبودي شمالا ، وداهمهم خطر ازدياد نمو الولايات الحرة غربا ، وجدوا انفسهم محتاجين الى تأمين مناطق جديدة تقوم على اساس امتلاك العبيد يصبح بالامكان الاعتماد على اصواتها ضد الخطر الداهم من جراء تعاظم الميل لتحرير العبيد في الكونغرس ومجلس الشيوخ . ومن هنا فان

المهاجرين الناقمين في تكساس تلقوا دعماً سرياً من حكومة الولايات المتحدة، ولما كان لهم مظالم حقيقة واصيلة فقد تطورت نقمتهم تدريجاً إلى ثورة.

تبني الكونغرس المكسيكي عام ١٨٣٥ دستوراً جديداً تضمن بنداً يستهدف حل مراكز القوى وتركيز كل السلطات في الكونغرس في مدينة مكسيكو. ولاقت هذه المسألة معارضة من عدة مناطق في البلاد.

انعقد مؤتمر تكساسي في آذار (مارس) ١٨٣٦، وأعلن تكساس جمهورية حرّة مستقلة. واستُرت حكومة مؤقتة وعيّن سام هوستون Sam Houston قائداً عاماً. وابتداً العراك فوراً.

وقع قتال في مناطق عديدة، خاصة، في سان انطونيو دي بكسار San Antonio de Bexar حيث استطاع الثوار بعد خمسة أيام من قتال الشوارع إجبار الحامية على الاستسلام. وعندما سمع الرئيس المكسيكي سانتا آنا Santa Anna اخبار هذه الكارثة تحرك على رأس جيش مولف من عشرة آلاف رجل وقطع نهر ريوغراندي Rio Grande الذي يشكل خط الحدود بين المكسيك وتكساس، وزحف باتجاه الثوار. وكان في طريق زحف الجيش قلعة خشبية قديمة تعرف باسم آلامو Alamo تمركز فيها ضابط تكساسي اسمه ترافيس Travis ومعه ١٤٥ رجلاً. وحاصرت القوات المكسيكية قلعة آلامو، وارسل ترافيس الرسالة التالية طلباً للتعزيزات:

«طلب مني العدو الاستسلام بتعقل، والا سيعمل السيف في الحامية. وقد أجبت على ذلك الطلب بقدية مدفع. وما زالت رايتنا تتحقق بعنوان من على الاسوار. وإننا لن نسلم ولن نتراجع. الحرية أو الموت!»

صمدت القوة التكساسية المؤلفة من ١٤٥ ثائراً مدة عشرة أيام في وجه جيش مكسيكي يبلغ عشرة آلاف جندي. وقد حاول المكسيكيون المرة تلو الأخرى اكتساح الموقف ولكنهم كانوا يدحرون. لقد كان الجرحي التكساسيون يسندون من قبل رفاقهم ويتابعون القتال حتى الموت. وكانت هجمات الجنود النظاميين بالحرباب تواجه باعقاب البنادق أو بقذف

سكاكين الصيادين السريعة المميتة . وعندما استطاع المكسيكيون في النهاية ان ينتصروا على القلعة ويكتسحوها تبين ان خسائرهم بلغت حدا لم يسبق له في التاريخ مثل . لقد قتل الف وخمسمائة مكسيكي او بمعدل عشرة مكسيكيين مقابل تكساسي واحد .

لم ينج حي واحد او يستسلم ، فقد قتل كل المدافعين وجمعت جثثهم كومة واحدة واحرقـت .

ولكن الدفاع عن آلامو اتاح للثوار في مناطق اخرى فرصة تنظيم مقاومتهم . وكان الجنرال سامويل هوستون قد نزل الى الميدان على رأس الف ومائتي مقاتل واصبح في وضع يمكنه من شن حملة نظامية . وتبني هوستون سياسة الانسحاب والانتظار رافضا ان يجر الى معركة مكشوفة قبل الاوان ، وظل كذلك مستفيدا من الوقت في تنظيم رجاله ، وخلق جيشا منهم .

وتقابل الجيشان في ١٩ نيسان (ابريل) ١٨٣٦ في بوفالو بايو Buffalo Bayou ، ونزلت هزيمة منكرة بالمكسيكيين واعمل السيف بهم ، واخذ جنرالهم مع ستمائة رجل اسيرا .

انهت هذه المعركة الحملة العسكرية ونالت تكساس استقلالها بعد ذلك بمنتهى وجيبة ، وتم الاعتراف بها رسميا .

ملحوظات

كان الدفاع عن آلامو احد الهزائم التي كثيرة ما تكون اعظم فائدة لقضية من كثير من الانتصارات التي تزف بالطربول . فقد شحت القوات التكساسية بالحماسة والمرارة ، كما انها منحت رفاق المدافعين في اماكن اخرى فرصة من الوقت لتنظيم صفوفهم . وكان من حسن حظ التكساسيين ان كان على رأسهم هوستون الجنرال الذي ادرك ان عملية وجود قوة ثوار في الميدان تشكل بحد ذاتها قيمة كبيرة في تأسيس وضع نوري ، وامتلاك كل مقومات الحكومة وهيبتها . ولهذا فقد ابقى قواته في الميدان دون قتال اطول مدة ممكنة بالرغم من هممـة رجاله ، ولم يستتبk بمعركة حاسمة الا بعد ان تأكد انه امتلك جيشا .

٣ تموز (يوليو) ١٩١٥

الثورة في باريس ١٨٣٠

عادت اسرة بوربون لتحتل عرش فرنسا بعد ان خلعت قوات الحلفاء نابليون ، وكان رجوعها الى العرش ضد رغبة الشعب الفرنسي . وقبلت تلك العائلة ، في البداية ، باحداث بعض التنازلات الخفيفة لتروح الديمقراطية التي اججتها الثورة الفرنسية في اوروبا ، ولكن تدريجا ، ومع تقدم الشعب في طلباته بزيادة حقوقه المدنية أصبحت العائلة المالكة وبلاطها اكثر فاكرا رجمية ومعارضة للاصلاح .

واخيرا ، اخلت الحكومة خطوات لكتب حرية الصحافة ، واغلق تاربع صحف نشطة في حركة الاصلاح ، وحكم على محرريها بالسجن وبفرامات مالية ضخمة . وانحر مجلس النواب ضد الملك وقدم له عريضة تطالب بالاصلاح . وكان جوابه حل المجلس ، وامر باجراء انتخابات عامة .

عندما انتهت الانتخابات تبين ان حزب الاصلاح ، رغم التضييقات الانتخابية والارهاب الحكومي المستمر ، قد فاز بالمجلس الجديد بمعاهتين وسبعين مقعدا من بين ٤٢٨ مقعدا ، ولم يفز انصار الحكومة باكثر من ١٤٥ مقعدا .

ورد الملك على نتائج الانتخابات في ٢٥ تموز (يوليو) ١٨٣٠ باصدار مرسوم يلغى كل حريات المواطنين بحجة قلم .

وحل مجلس النواب حتى قبل ان يعقد جلسة واحدة .

وعقلت حرية الصحافة . وصدرت اوامر بمنع اية كتابة ضد التعليمات ، وبمقدار المطبع والصحف التي تنشرها ، او بمعطيلها على اعتبار أنها غير مسوقة لغایاتها .

وغير قانون الانتخاب بشكل جعل الانتخابات كلها تحت سلطة الملك وحزبه .

كانت باريس في ذلك الوقت محروسة بحرامية مؤلفة من ٤٧٥ رجلاً من الحرس الوطني ، و ٤٤٠ من الجيش النظامي ، و ١١٠٠ عسكري اضافي ، و ١٣٠٠ شرطي او جندرمة .

انطلقت اولى دلائل المقاومة من جانب الصحافة . فقد اجتمع اربعة اشخاص من الصحفيين الرئيسيين وأصدروا البيان التالي الذي نشرته **صحيفة الوطني National**

« لقد سقطت الحكومة الشرعية وساد حكم الطغيان ، ولم تعد الطاعة في مثل هذا الظرف الذي نحن فيه واجباً . ويجب ان يكون اول المواطنين الذين يليون هذا النداء هم كتاب الصحف . اذ ينبغي لهم ان يكونوا القدوة الاولى في مقاومة السلطة التي جردت عن نفسها صفة الشرعية » .

ولم يزغ صباح ٢٧ تموز (يوليو) حتى كان البوليس قد باشر بمعاهدة الصحف وتحطيم المطبع . ولاقي مقاومة في مناطق متعددة . ولم يسمح له بدخول دور صحيفتي **Temps** **National** والوطني وبينما حاول اقتحام غرف الطباعة راحت الاوراق تلقى من التوافد الى الشارع بعد طباعتها . وتناولتها الجموع المحتشدة ووزعوها، بسرعة البرق، في كل باريس .

وطلب من الحدادين ان يأتوا لكسر الابواب ولكنهم رفضوا المشول للاوامر ، ولم يستطع رجال البوليس فتحها الا بعد ان جلبوا حداداً مجرماً كان محكوماً عليه في السجن ، فدخلوا الى المطبع وحطموها كلها .

لقد أهان مثال المقاومة هذا ، المدينة بأسها ، وتحركت أعداد ضخمة من الجماهير في كل مكان . وكانت دار رئيس الوزراء محروسة بكثيبة من الحرس ومدفعي ميدان ، وكانت هناك فرقة من المشاة تتوجه في المناطق المجاورة . وكانت هناك ثلاث كتائب تحرس واجهة القصر الملكي ، كما حرست كتيبتان من الحرس ومعها مدفعتان ساحة لويس الحادي عشر Vandome وكانت هناك افواج من الجيش تحرس ساحة فاندوم وبهذا كانت كل الساحات الكبيرة تحت سيطرة الجيش .

حاول البوليس إخلاء الشوارع من المتظاهرين ففشل ، وأمرت قوات الجيش بالمساعدة في ذلك . وما أن دفعوا الجماهير إلى الخلف في شارع روسانت هونور Rue St Honore ، حتى دوت أول طلقة من أحد البيوت في الشارع الرئيسي .. لقد كانت طلقة بندقية وجرحت أحد الجنود .

فتح الجيش النار على ذلك البيت وفرت الجماهير . ولكن ما ان راح الجيش يطارد الجمهور المترافق حتى اصطدم بأول متراس اقيم من عربة ثقلت وترامت عليها وحولها صنوف شتى من الاناث والعراقيل . ولكن لما كان أولئك الذين خلف المتراس مسلحين بالحجارة فقط ، فقد استطاع الجيش اكتساحه بسهولة بعد ان أمره بوابل من الرصاص .

ودار قتال في مناطق أخرى من المدينة ، واستطاعت الجماهير ان تقتسم احدى مراكز الشرطة وتستولي على كل ما فيه من سلاح ومعدات وذخائر .

هاجم الشعب في اليوم التالي ، ٢٨ تموز ، كل مشاغل صنع الاسلحة واستولى على ما فيها من سلاح ومعدات . وقامت المدارس في كل انحاء المدينة ، واقتسمت مراكز البوليس وسيطر على ما فيها من اسلحة وذخائر . ونظمت الطبقة العاملة في فويورغ نفسها وزحفت باتجاه دار الحكومة او هوتل دي فييل Hotel de Ville ، ووزع السلاح من مراكز عديدة .

قرر الجيش اقتحام المناطق التي اقيمت فيها المدارس ، بأربعة طوابير

تقىد من اربع نقاط تكتيكية . وتقىد الطابور الاول من حى الاغنياء فى المدينة ولم يلق معارضة تذكر .

Porte St Martin

دخل الطابور الثاني من بورت سانت مارتن D'Innocens فاستقبل بنيران القناصة . ولكن بعد ان رد بجولتين من القصف المدفعي، وبوابيل من رصاص بنادق المشاة استطاع سحق المقاومة في تلك النقطة ، الا انه ما ان تقدم الى مركز المدينة حتى وجد الثوار قد نصبوا المارس امامه ، وكلما توغل اكثرا كلما ازدادت المارس التي راحت تنصب وراء مؤخرته . واخيرا وصل هدفه في الساحة الكبرى ساحة الباستيل Palace de la Bastille ولكن حين حاول الرجوع الى الخلف اوقفته المارس المذكورة اعلاه وحصرته نيران كثيفة اطلقت من كل فوهات الشوارع المتقطعة . وعندما فشلت عدة محاولات للرجوع من الطريق المحدد له في الخطة ، خاف قائدہ ان يفقد المدفعية فامر الطابور بشق طريقه عبر الاتجاه المضاد تاركا الارض التي كان قد احتلها بأيدي الشوار ، ووصل نقطة اصبح فيها مقطوع الاتصال كلبا مع القيادة العامة . كان هذا الطابور قد اجتاز مواقع الثوار ولكنها تركها كما وجدها ، وقد علق احد الكتاب : « كانوا قد تعلموا كيف يواجهون القوات الملكية بلا خوف ، وادرکوا قيمة اسلوب القتال الذي تبنوه » .

وصل الطابور الثالث منطقة السوق الكبير مارشى دي انوسين Marché des Innocens ولكن ما ان وصل تلك النقطة حتى قوبى بنيران حامية هبطت عليه من الاسطحة والنواخذ مصحوبة بوابيل من الحجارة وقطع الزجاج والقناني وقطع الحديد . وصدرت الاوامر لكتيبة بالزحف عبر بورت سانت دينيس Porte St. Denis لتنظيفه ثم العودة الى موقع الطابور . وعندما بدأ تلك الكتيبة بتنفيذ الامر اعترض طريقها متراس قام امام بناء ضخمة هي كور باتاف Cour Batave وكان الثوار هنا قد كمنوا في الساحة وراحوا يطلقون النار من خلف الدرازين الحديدي الذي سور الساحة ، واخذت نيرانهم تفتاك بالقوات التي راحت تحاول تحطيم المتراس . ولم يكن باستطاعة هذه الكتيبة ايضا ان ترجع من الطريق الذي أتت منه لأن مارس جديدة اقيمت خلفها بعد مرورها . أما الكتيبة المرافقة لها التي راحت تنتظر في ساحة السوق فقد وجدت نفسها محاصرة في نطاق من المارس التي اخذت ترتفع في كل الشوارع المحيطة فضلا عن النيران التي راحت تنصب عليها مع كل حركة

تقوم بها ، وخيرا استطاعت ، وهي في بران الياس ، ان ترسل رسولا طلبا للنجدة .

لقد حلق احد وكلاء الضباط شاربيه ، وخلع بزته العسكرية ، وارتدى ملابس حمال في السوق ، ونجح في المرور من خطوط الثوار ووصل الى القائد العام لمنطقة باريس ، وبلغه رسالة قائد الطابور طلبا للنجدة . وارسلت النجدة على شكل كتبة اخرى شقت طريقها بكل صعوبة الى ساحة السوق ، وهناك اتحدت القوات ، وقاتلت بضراوة لفتح طريق الانسحاب ، وتمكنـت من الانسحـاب ولكن بخسائر فادحة .

توجه الطابور الرابع ليشق طريقه الى دار الحكومة هوتل دي فيل Hotel de Ville وانقسم الطابور الى قسمين . زحف قسم باتجاه الجسر - الكوبري - وتلقاء الثوار ببران كيفية ، ولكنه استطاع بمساعدة المدفعية ، ومجيء كتبة تعزيز اخرى ، ان يشق طريقه ووصل الى هدفه - هوتل دي فيل وساحة دي غريف Place de Grève المجاورة . وكان الثوار قد نصبوا المارس في كل الشوارع المحيطة ، وطفقا يطلقون النار من كل الزوايا والتواfad . وقد كتب احد الكتاب يقول :

« لقد تبين ان المدافع الملحقة بالحرس لم تؤد الا الى تسبب ارباك » . وخيرا ، وجدت القوات النظامية ان من غير الممكن الدفاع عن ذلك المكان فقررت العودة وراحـت تشق طريقها بكل صعوبة تحت هجمـات مستمرة من الشعب الذي كان يطبق كالبحر على المـارات التي تجـازـها قوات الجيش .

كانت نهاية القتال في ذلك اليوم قد اسفرت عن سيطرة الشعب في كل مكان . وجاءت قوات نظامية جديدة ، في صباح اليوم التالي ، من المناطق خارج باريس ولكن كان الثوار في باريس قد قاموا باستعدادات ضخمة للاقتها . لقد تقطعت الشوارع بالمارس وتحولت الارصفة الى مارس ايضا . وارتقت تلال من العرائيل في الشوارع . لقد رصفت البراميل التي عبـثـتـ بالرمـل ، وانتصـبتـ كالاسـوار ، واستخدمـتـ الاعـمـدةـ الخشـبيةـ والـلـوـاحـ وـقـضـبـانـ الحـدـيدـ وكلـ ماـ منـ شـانـهـ انـ يـنـصـبـ متـراسـاـ .

وقلب العribات بمختلف انواعها ونشرت الاشجار لتصبح قلاعا في
الشوارع .

ثم حدث شيء غريب . فقد رفضت قوات الجيش الدخول الى الشوارع وراحت بدورها تحصن مواقعها . وادى هذا الى اعطاء الفرصة للثوار من اجل تنظيم انفسهم ، والتحطيط لقتال منظم منضبط . وعندما زحفوا لللاقة الجيش جرى قتال اسفر عن انسحاب الجيش من موقعه المركزي - اللوفر Louvre ، وقد استسلمت بعض الافواج ، وهنجرت المدينة من الجيش .

لقد انتصرت الثورة .

ملحوظات

كان القتال في باريس في هذه الثورة شأنه شأن القتال الذي جرى في بروكسل ذا طبيعة مناورة منطلقة من طبيعة قوات الثوار . اذ لم يكن احتلال شارع من قبل جنود القوات الملكية يساوي الدم الذي دفعوه لأنهم ما ان يتقدموا الى امام حتى تتنصب متاريس جديدة في مؤخرتهم على الارض نفسها التي كانوا قد احتلوها قبل قليل . وكانوا ما ان يشقوا طريقهم الى امام حتى يصبح من الضوري لهم ان يكافحوا للعوده من حيث اتوا . ولم يكن باستطاعتهم ان يسيطروا على غير الارض التي يقفون عليها ، ثم تطبق عليهم المتاريس الحبيطة لقطع طرق امدادهم ومواصالتهم ، وتجعل الدفاع عن موقعهم غير ذي جدوى . كان على الجيش اذا اراد مقاومة الثورة بنجاح ان يمتلك قوات كافية لان تحتل بالقوة كل شبر من الارض تعبره وتستمر في احتلاله ، مضافا اليها قوات اخرى مرکزة في نقاط تكتيكية قوية ، توفر فيها اعداد كافية لنجدۃ اية نقطه عبر الخط الطويل الذي اخترقه الجيش يمكن ان تتعرض لهجوم .

١٩١٥ (يوليو) ، ١٢

ليكسينغتون Lexington

كانت المرة الاولى التي أريق فيها دم في قتال فعلي في الثورة الامريكية، في ليكسينغتون - ماساشوستس في ١٩ نيسان (ابريل) ١٧٧٥ . ومن هناك اشتعلت النار « وسمعت اصوات الرصاص في كل العالم » .. الرصاص الذي تردد صداؤه كنداء التغيير يدعو امة الى السير على درب الحياة .

كان النزاع بين البرلمان البريطاني وبين المستوطنين الامريكيين يتتطور تدريجا الى نقطة حاسمة . وكانت مدينة بوسطن Boston التي قادت التحرير ضد الاعمال القهرية التي اقترفتها الحكومة البريطانية، قد ملئت بالقوات البريطانية التي حشدت لارهاب الامريكيين ، بينما راح الامريكيون يجمعون الاسلحة والذخائر ويخبئونها في مناطق عديدة في البلاد من اجل ان يكونوا مستعدين لاي تطورات مفاجئة . كانت كل الظروف ، ذلك الوقت ، تبدو معاكسة تماما للامريكيين ، الامر الذي جعل فئة قليلة جدا فقط ، تحلم بتحقيق استقلال المستعمرات الثلاث عشرة .

كانت المستعمرات ضئيلة السكان ، وكانت وسائل المواصلات هزيلة والطرقات رديئة ، ولم تكن هناك رابطة متحمسة فيما بينها . وكان لدى البريطانيين اسطول بحري كبير يرابط على شاطئي الاطلس ، وقدر على ازالة القوات ضد اية مقاومة في اي نقطة وسحقها قبل ان يصلب عودها .

وكانت الطرقات الرديئة وقلة السكان والغابات التي لا مواصلات فيها قد جعلت من الصعب على الامريكيين ان يتحدون بشكل يمكنهم من مواجهة الحملة البريطانية . وكانت هنالك اوساط واسعة من السكان ايضا ملكية اكبر من الملك وقد صممت على الوقوف الى جانب انكلترا ضد زملائهم المستوطنيين الآخرين .

نظرًا لكل هذه الاسباب ظل هنالك امل في حل سلمي للنزاع حتى وقت الحادثة التي سنشرحها، فكتبت في طريقها المفاوضين والمشككين ووضعت المسألة بيد القوات المسلحة .

ارسل الجنرال البريطاني كيج Cage في بوسطن قوات عسكرية في ليلة ۱۸ وصباح ۱۹ نيسان (ابريل) الى داخل المستعمرة بحثا عن اسلحة وذخائر كان الامريكيون قد جمعوها واختزناها في قرية ليكسينغتون . لقد مضت هذه الحملة سرا من بوسطن في قوارب عبر نهر تشارلز Charles ونزلت الى الارض في مكان يعرف بمزرعة فيب Phipp ، ومن هناك اندرفت بسرعة نحو بلدة كونكورد Concord ووصلتها في الساعة الخامسة صباحا . لقد بذلت الحملة كل الجهود الممكنة لتجعل تحركها سرا ، فقد راحت ترسل الضباط والدوريات من الخيالة امامها لاعتقال كل مواطن يصدقها في الطريق من اجل الحيلولة دون انتشار اخبارها واطلاق النذير . ولكن النذير انطلق عن طريق مواطن خيال اسمه بول ريفير Paul Revere حيث مضى يعود على فرسه امامها ويطلق صيحات الانذار طولا وعرضأ . فراحوا يصررون تقرع ، والنيران تشعل ، وتطلق الدافع لايقاظ النائم من السكان بمجرد مغادرة ريفير في طريقه لانذار اماكن اخرى .

عندما وصلت القوات البريطانية قرية ليكسينغتون وجدت الميليشيا الامريكية بانتظارها . فامر قائد الحملة الامريكيين بالتفريق . فرفض أمره ، فاطلق الجنود النار فسقط ثمانية قتلى وعدد من الجرحى .

فر الامريكيون ، وتوجه الجنود البريطانيون نحو كونكورد فارسلوا ست سرايا امامهم للسيطرة على جسرین أمام البلدة بقصد قطع طريق انسحاب آية قوات مسلحة قد تتعرض طريقهم . وتراءجت الميليشيا

الامريكية من ليكسينفون، وسيطرت عليها القوة الرئيسية من تلك الحملة. وراحت فورا تدمر كل المخازن واستولت على ثلاثة مدافع وكمية من الدخان وكمية كبيرة من البارود والقنابل حملت والقيت في النهر. وكذلك القيت في النهر اعداد من اكياس الطحين . وكانت الاجراس خلال كل تلك الفترة تقرع داعية الشعب للتواجد ، وكانت المشاعل قد تألفت فوق كل تلة ، وراح المراسلون ينتشرون في كل اتجاه ناقلين اخبار الجنود الذين اعلنا الحرب . واخذ المزارعون واهالي المدن يتذفكون الى موقع الاحداث.

عندما قارب الجيش من الانتهاء من مهمته في التخريب بدا يستعد للانسحاب ولكن عند هذه اللحظة اندلع القتال الحقيقي لذلك اليوم .

لقد اخذت المشاة تستعد لمغادرة البلدة وحاولت تدمير الجسور خلفها وحاولت سرية مليشيا ان تقطع احد الجسور على امل انقاذ بعضا من المخازن الا ان الجنود اطلقوا النار عليها وسقط قتيلان . فرد الامريكيون على النار بالمثل مما اضطر القوات النظامية على الانسحاب تاركة وراءها عددا من القتلى والجرحى ، وأسر ملازم ومعه عدد من الجنود .

وما ان انسحب الجيش حتى كانت كل المنطقة قد هبت من حوله . وراحت المناوشة تتلو المناوشة ، وكم وراء البيوت والاسوار والغابات والصخور والخنادق رجال تسلحوا بالبنادق ، ولم يغامروا قط بمواجهة امامية مع الجيش ، وانما استمروا بلاحقة كما يلاحق الصياد فريسته .

لقد انسحب الجيش من ليكسينفون وكان معززا بست عشرة سرية مشاة وفصيلة بحارة ومدفعيين بقيادة لورد بيرسي Percy وكان على القوات ان تقطع المسافة ما بين ليكسينفون وبوسطن والبالغة ستة عشر ميلا تحت ظروف قتال مستمر . وكان الشعب لا يقترب اكثر من مدى النيران ، وقد رکز مناوشاته ضد المؤخرة والاجنحة ، وكان ينتظر خلف الاشجار والقرى والصخور ليصل الى القوات بنيران حامية ولكن دون ان يكشف نفسه لها .

كانت تجربة مريرة بالنسبة للجنود ، اذ بدا لهم ان العدو يخرج من قلب الارض . وكانت مقدمتهم ومؤخرتهم والاجنحة في حالة اشتباك

مستمر طوال الوقت وكانت كل لحظة تتطلب ان تبقى الاعصاب مشدودة يقظة . واخيرا وصلوا الى شارلستون Charleston وأخذتهم القوارب من هناك ، تحت حماية الاسطول ، الى بوسطن .

اعترف البريطانيون بخسائر بلغ ٢٧٣ قتيلا وجريحا واسر ملازمين وعشرين جنديا . وكان من بين الجرحى الكولونيال سميث Smith قائد الحملة ومساعده وعدد من الضباط .

وبليفت خسائر الامريكيين ستين قتيلا وجريحا فقط .

ملحوظات

كانت معركة ليكسينغتون نمرا للبريطانيين اذا ما اخذت من ناحية تحقيقها لاهدافها اي تدمير مخازن الذخيرة في قرية ليكسينغتون . ولكنها كانت نمرا ايضا بالنسبة للثوار ، لأنهم استطاعوا السيطرة على المنطقة بعد المعركة واضطروا العدو على الانسحاب ، وانزلوا به من الخسائر خلال انسحابه اكثر مما خسروا في المعركة . ومن هنا فان معركة ليكسينغتون كانت مثل بقية المعارك الاولى في الثورات . اذ كان النصر دائمًا في المعركة الاولى من نصيب القوات النظامية ، ولكن كان الجيش الامريكي بعد كل معركة يخرج اكثر قوة ونظاما . فقد حطمته ليكسينغتون اسطورة مناعة الجيش النظامي ، وشجعت اولئك الذين اجتراوا على مواجهته ، واعطت ايمانا لكل اولئك المشككين لكي يدركون ان ما من امة يمكن استبعادها ، اذا قرر شعبها ان يرى الموت احب اليه من العبودية .

١٧ تموز (يوليو) ١٩١٥

حزيران (يونيو) ١٨٤٨

اطبع بلويس فيليب Louis Phillippe وحكمه الملكي في شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، بوساطة ثورة اندلعت في شوارع باريس مدعومة بانتفاضات في كل أنحاء فرنسا . ويرجع الفضل في انتصار هذه الثورة، كما هو الحال في كل الثورات المشابهة ، إلى الطبقة العاملة وروحها القتالية الحازمة . ولكن حدث في هذه الثورة ، كما حدث في الثورات السابقة، أن الطبقة العاملة كانت بعد أن تقوم بكمال القتال ، ترك الطبقة الوسطى لتجني ثمار النصر . ولكنها قررت في هذه المرة ان تطالب ببعض الحقوق لنفسها .

كان التعليم قد تقدم بسرعة ، وكانت اعداد العمال ، بالإضافة الى ذلك ، اكبر من اي يوم مضى . ولهذا فان الطبقة العاملة طالبت ، والسلاح ما زال بيدها ، من الحكومة الجديدة ان تضع في دستورها الاجتماعي مواد تتعلق بتحسين الوضاع الاجتماعية المعيشية . ووافقت الحكومة بتعدد ، وان تظاهرت بحماسة فائقة لقضية العمال ، واستن « مشاغل وطنية » تضمن العمل لكل من يطلبـه .

طبعا كان هذا البند غير سليم اقتصاديا ومقدرا له الفشل ، ولكنه خدر العمال لبعض الوقت .

لقد افادت الحكومة الجمهورية من الوقت لانضاج خططها ضد الحركة الجماهيرية ولتنظيم قواتها العسكرية ضد العمال ، واستومنت المشاغل الوطنية آلاف العمال ، وراح شعراً الطبقة الوسطى يتحدون ويتفنون بحماسة مجددين عصر العمال . ولكن الحكومة كانت طوال ذلك الوقت تحشد قواتها العسكرية في باريس ، وراح تبعد الوحدات العسكرية التي من اصل مدنى عن العاصمة لتضع مكانها قوات من المناطق البعيدة ؟ كما راحت تحسن قوة المدفعية ، وتستعد بهدوء لسحق العمال اذا اصرروا على فكرتهم القائلة ان على الجمهورية ان تعتبرهم ابناءها لا عبيدها . واخيراً عندما تمت الاستعدادات اخذت الحكومة تسرّح آلاف العمال من المشاغل الوطنية ، وتشكل فرقاً من العمال لنقلها من باريس بالقوة لتعمل في بناء السدود في المناطق .

تشكلت احدى تلك الفرق من اربعة عشر الف عامل اغلبهم من الباريسين ومن اعضاء نوادي العمل المحلية . وبالاضافة الى هذا الترحيل الجماعي الى مناطق غير معروفة للعمال ، فقد قررت الحكومة في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ، تسرّح ثلاثة آلاف عامل وامرتهم بمغادرة باريس بحجة انهم لم يولدوا فيها . وزودوا بتذاكر السفر وبمصاريف الطريق حتى مناطق ولادتهم .

لقد اندلعت ثورة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ من جراء عمليات الترحيل هذه .

لقد عاد مساء ذلك اليوم حوالي اربعينات عامل الى المدينة بعد ان رحلوا عنها في الصباح ، وداروا بانتظاره في الشوارع تدعى رفاقهم الى مقاومة مؤامرة الحكومة التي تستهدف تدمير القوة العاملة . وتعالى في صباح اليوم التالي النفير الشعبي داعياً الى السلاح . وبدأت المظاهرات تنصب في الشوارع . وانتفضت ، بسرعة البرق ، كل الاحياء العاملة ، وراح الثوار يحصنون احياءهم ، بمهارة وسرعة ، مما جاء دليلاً على وجود عقول ذكية جداً وراءهم انشغلت في التحضير لواجهة مخططات الحكومة .

وبدا القتال في بورت سانت دينيس Porte St. Denis ولم يكتسب

المتراس هنا الا بعد ان دحر هجوم الجيش مرتين . وجرى قتال مشابه في بورت سانت مارتن Porte St. Martin وعدة نقاط اخرى ، واستطاع الجيش في كل منها اتساع المدارس . ولكن تبين في كل من تلك النقاط ان الثوار حين يجدون ان الدفاع عن المتراس اصبح غير ذي جدوى ، كانوا يتراجعون ليدافعوا خلف متراس آخر اعد لهذه الغاية . وعندما حاول الجنود ملاحقتهم وجدوا انفسهم وسط نيران مميتة تنصب عليهم من كل الشوارع والبيوت الجانبيه . فقد استولى الثوار على البيوت التي تتحكم في الشوارع وكانوا قد رتبوا الدفاع عن تلك البيوت بصورة علمية تماما . فقد فتحت ثغرات في الحائط الامامي ، واقامت المدارس في المدخل وهي عبارة عن اثاث وعلب وقرورات وكل اشكال العرائيل ، وكانت الفراغات بين الاسوار المجاورة قد ضيق بشكل لا يسمح لغير رجل واحد بالعبور . وكان احتلال البيت الواحد يتطلب قتالا بالسلاح الابيض ، وحتى حين يتم ذلك كان الثوار يعيدون الكوة في البيت المجاور .

لقد شبهت بعض البيوت بثغور الارانب مليئة بالثغرات والمسارب وكان الموت ينتظر الجنود عند كل عطفة وزاوية . واغلق المنافذ بالعوارض الخشبية واكياس الرمل وبقيت منها ثغرات اطلت منها بنادق القناصة ، وكانت النسوة منهنكمات في تحضير الرصاص والقاء الحجارة وقطع الزجاج على رؤوس الجنود ، وكن ينقلن العتاد والسلاح ويعنبن بالجرحى .

ولم يهبط الليل حتى كان الجيش قد دحر من عدة نقاط ، وراح القصف المدفعي يدوي في كل احياء العاصمة .

تبين في الصباح التالي ان كل المدارس التي حطمت في ذلك اليوم قد اعيد نصبها من جديد في الليل . ان تعداد كل المناطق والاحياء التي حصنت سيملا الصفحة بالاسماء دون فائدة ، ولكن يكفي ان نقول ان الثوار قد ضربوا حصونهم على امتداد شبه دائرة شملت اقساما واسعة من باريس . وكانوا عمليا قد نصبوا حائطا من المدارس على طول خط جبهتهم ، وكانوا قد اعدوا البيوت والمعماريات بمهارة فائقة في كل النقاط التكتيكية القوية ، وأخذوا يطبقون كل اقتراح ذكي تكتشف عنه عبقرية الجماهير خلف خطوطهم .

لقد خصصت بناياتان ضخمتان كمركز للقيادة في مختلف المناطق .
فكان بناء تمبل Temple مركز قيادة المنطقة الشمالية ، وكان البارتيون Pantheon مركز قيادة المنطقة الجنوبية ، وكان مستشفى هôtel Dieu في الوسط قد استولى عليه واعتبر المكتب الاستراتيجي لكل الثورة .

وبدا الجيش يتدفق إلى باريس باعداد ضخمة للغاية من مختلف المناطق وقد ساعد على ذلك عدم انشغاله بآية حرب خارجية ، فقد كانت فرنسا في حالة سلم مع كل القوى الأجنبية ، ولهذا فقد كانت قوة الجيش باسر متوفرة لواجهة الثورة ، واصدر الجنرال كافاياغنac Cavaignac امرا يقول :

«اذا لم تزل المارxis في مدة اقصاها ظهر هذا اليوم فسوف تستخدم مدافع المهاون والهاوتزر لتدرك المارxis وتلقى بقذائفها خلفها وفي داخل البيوت التي فيها ثوار» .

لم يعبأ احد بهذا التهديد ، وتجدد القتال في اليوم التالي . ولكن نقص الذخيرة لدى الثوار لعب دورا سلبيا جدا ضدهم ، وبالاضافة إلى ذلك كانت الحكومة قد خططت منذ أمد بعيد لجلب قوات تتغوفق عدديا على المسلمين في الثورة ، مع توفير خط امدادات دائم مضمون .

ان القتال في كلوس سانت لا زار Clos St. Lazare يعتبر نموذجا للقتال الذي جرى فيسائر المناطق . لذلك فان الوصف التالي ماخوذ عن مشاهد عيان وهو جدير بان ينقل هنا ، يقول :

«كانت المارxis التي قامت امام العرائيل ضخمة هائلة ، وكان مهندسا نظاميا قد بناها . لقد بنيت من حجارة تبلغ الواحدة منها عشرات الكيلوغرامات ، ومعها قطع من الصخور كانت استجابت لبناء مستشفى تزن الواحدة منها عدة اطنان . وكانت البيوت التي تعطيها قد احتلت من قبل الثوار . كما احتلت العمارات العالية وازيالت النواfade . وكانت البيوت في الجهة المقابلة من البوليفار Boulevard في حوزة الثوار ومليئة بالقناصة . ييد ان الذي عزز قوتهم هو فتح ثغرات في سور المدينة الذي

يرتفع من ١٢ الى ١٤ قدما والذى يمتد طويلا ولا يتقطع الا عشرة اذرع او ١٢ ذراعا بعد كل ميل ، وبلغت الثغرات التي فتحت فيه عدة مئات وكان قطر محبيط كل ثغرة يبلغ حوالي ١٥ سم . لقد انطلقت النيران الميتة من هذه الثغرات طول يومي السبت والاحد على الجنود الذين ما كانوا يستطيعون رؤية خصومهم .

«كان المدافعون يتلقون من ثغرة الى ثغرة بخفة القردة . وما كانوا يرفعون غطاء على السور الا طلبا للذخائر التي لم يملكون منها غير النزد اليسيير مع احتياط قليل جدا» .

ولم تصبح المدفعية مربعة الا بعد ان نفذت ذخيرة الثوار . اذ عندئذ اصبح بمقدورها تهديم البناءة التي كان الثوار ينتظرون فيها مجئه المفجوم . ومن ثم احتلال الشارع تدريجا بعد تطهيره من المدافعين .

لقد توقف القتال في كل باريس يوم ٢٨ حزيران (يونيو) . وقد ادى عزل المدينة عن دعم المناطق المجاورة لها ، جنبا الى جنب مع وجود تفوق عددي لمصلحة الجيش ، الى تحرير النصر لمصلحة الحكومة في ذلك اليوم.

لقد انتخب الامير لويس نابليون في العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ رئيسا للجمهورية . وقضى على الجمهورية ، بمساعدة الجيش ، بعد اربع سنوات من ذلك التاريخ واسقط الحكومة الجمهورية التي انقلب على العمال الباريسين ، وقاتلتهم كما سبق ووصفنا اعلاه . وعندما راح لويس نابليون يحطم الجمهورية الفرنسية ، تعلالت اصوات مناصريها من ابناء الطبقة الوسطى تدعوا ، بلا جدوى ، اولئك الرجال الشجعان الذين خاتتهم في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ .

ملحوظات

كانت الثورة التي اندلعت في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ في باريس ، من اكبر الثورات التي قاتل فيها الثوار باقصى عناد وبأفضل اسلوب علمي ، وبمستوى اعلى من اية ثورة ، او محاولة ثورة ، سبق ان عرفتها باريس .

وتشكل دروسها اهمية خاصة لكل طلاب الحرب الذين يرغبون في دراسة الدفاع والهجوم في المدن والقرى والبيوت . ومهما تكن التغيرات التي حدثت كنتيجة لتطور الاسلحة النارية ، واختراع البارود الذي لا يصد دخانا ، فقد ادت الى زيادة قوة الدفاع . واننا سنجاول في عدد الاسبوع القادم ان نلخص الدروس العسكرية التي يمكن استخلاصها من الثورات المسلحة الكبرى التي عالجناها في هذه الزاوية حتى وقتنا الحالي .

٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٥

خلاصة حول قتال الشوارع

ان اجراء خلاصة كاملة للدروس التي يمكن استخلاصها من الاحداث العسكرية التي شرحتنا تفصيلاتها خلال الاشهر الماضية ، قد تتطلب كتابة مجلد ضخم جداً . حقاً من المكن القول ان تلك الدروس جديرة بمثل ذلك التوسيع الذي لا يمكن ان توفره خلاصة قصيرة .

ما هو الشارع بالمعنى العسكري للكلمة ؟ ان الشارع عبارة عن مضيق او معبر ضيق مخنوق ، ولكن موقعه في مدينة . وان المضيق هو شِعْب ضيق لا تستطيع ان تعبّر القوات الا بعد ان تتصيّق جبهتها ، وبالتالي تقدم نفسها هدفاً جيداً للعدو . وان المضيق ، هو ايضاً ، مكان يصعب على الجنود ان يناوروا فيه ، خاصة اذا كانت اجنبة المضيق محتملة من قبل العدو .

ان طريقة بين الجبال هو مضيق تتشكل اجنبته من الانحدار الطبيعي للجبال كما هو الحال في سكالب Scalp .

وان جسراً فوق نهر هو مضيق تتشكل اجنبته من مياه النهر .

وان الشارع هو مضيق تتشكل اجنبته من البيوت المتداة على جنباته .

ان قطع طريق بين الجبال ، بدرجة من الامن ، يتطلب ان تظهر جنبات الجبال بارسال اجححة لاحتلالها تقدم عبر الجسم الرئيسي للقوات . اما قطع جسر فيتطلب ان تقطع جنبات النهر ب Nirman البنادق والمدفعية بينما يعبر الجسر بسرعة . اما احتلال شارع نصبت فيه مباريس جيدة وحمى من كلا الجانبين بقوات انتشرت في البيوت فيتطلب اقتحام تلك البيوت بينما بيتا والدخول في قتال بالسلاح الابيض . وان متراسا وضع في شارع لا تستطيع المدفعية ان تعمل فيه من مسافة طويلة ، فسيكون منينا ضد الهجمات الامامية - الجبهوية . اما جلب المدفعية الى الشارع وعلى بعد مائتي ذراع - وهو طول الشارع العادي ، فسيعني فقدان المدفعية حتى ولو قوبلت بقوات مسلحة بالبنادق وغير مدربة جدا .

لم يكن لدى الثوار في ثورة موسكو الا ٨٠ بندقية ولو تواجد لديهم ثمانمائة بندقية لقضوا على المدفعية .

ان ثورة باريس في حزيران (يونيو) ١٩٤٨ تعلم كيف يجب ان تحصن المناطق في المدن او القرى . فقد وضعت المباريس في الشوارع في نقاط تكتيكية وليس في الشوارع الرئيسية وانما في الشوارع التي تحكم بالشوارع الرئيسية . وفتحت الحواجز بين البيوت وذلك لجعل المرات من داخل البيوت وعلى طول الشارع . وفتحت ثفرات في الاسوار والحيطان ، وسدت النوافذ باكياس الرمل ويعلب مثلث بالحجارة والقطط والطوب ويقطع الاناث وبكل ما يمكن ان يتراكم خلفها .

وراح الثوار خلف مثل هذه الدفاعات يصرون نيرانهم على الجنود عبر طلاقات فتحت لهذه الغاية .

لقد استطاعت قرية في اثناء هجوم الجفقاء على نابلس ان تصد بذلك الطريقة عدة هجمات شنها جيش بروسيا حليفه الانكليز . وعندما حل الانكليز مكان اولئك البروسيين لم يجرؤ الجيش الانكليزي على شن هجمات امامية ، وانما بدلا من ذلك اقتحم بينما في احد اطراف القرية وبدأ باحتلال بيوت الشارع بينما . وبهذا أصبح كل القتال داخل البيوت ، ولم تلعب نيران البنادق الا دورا صغيرا ثانويا . وقد استطاعوا ان يحتلوا كل البيوت على احد جنبي الشارع ولكنهم فشلوا في احتلال الجانب المقابل . وعندما

اعلت الهدنة كان الانكليز يحتلون طرفا واحدا من القرية بينما كان اعداؤهم
الفرنسيون يحتلون الطرف الآخر .

وقادت الهدنة الى عقد صلح . وعندما اعلن الصلح نهائيا كان طرفي
شارع القرية محظتين من قبل قوات متقابلة .

ان الدفاع عن عمارة في مدينة ، او بلدة ، او قرية تحكمه القوانين
نفسها . اذا ان بقاء مثل تلك البناء دون احتلال يجعلها تشكل خطرا حقيقة
حتى ولو انهزم انصارها جميما . واذا كانت محاطة على الجانبيين بالمتاريس
واستطاعت قوات العدو تدمير تلك المتاريس فلن يكون بمقدور تلك القوات
ان تتقدم في الشارع تاركة تلك البناء بيد العدو . واذا تخطوها دون ان
يحتلواها فسوف يعرضون انفسهم الى خطر صدهم عند نقطه اخرى متقدمة
وعندئذ تصبح تلك الهزيمة كارثة حقيقة عند انسابهم بسبب ترك تلك
البنية خلفهم بيد العدو دون ان يحتلوها . لذلك فان تحصين البناء
تحصينا قويا يجب ان يكون المحور الذي يقوم عليه الدفاع عن مدينة او
بلدة او قرية ، وهو يشكل الهدف الرئيسي في استعدادات اية قوة
مدافعة سواء كانت جيشا نظاميا او قوة من الثوار .

شكل قصر او قلعة جيزبيرغ Geissberg موقعها من هذا الطراز في
الجبهة الفرنسية في الرابع من آب (اغسطس) . في اثناء الحرب
البروسية - الفرنسية عام ١٨٧٠ . واستطاع الالمان اكتساح كل منطقة
الدعم الفرنسية المحاطة بهذا البيت الريفي ، واكتسحت ساحاته
الخارجية ولكنهم دحروا امام الرصاص المطلق من التواوفد والطلقات .
فجلبوا اربع بطاريات مدفعية على بعد تسعمائة ذراع من البيت ، وراحت
تنصف اسواره ، واندفعت كتيبة وراءها كتيبة لاكتساحه . وعطل كل
تقدم الجيش الالماني حتى تمت السيطرة على هذا البيت . وقد بلقت الخسائر
التي دفعها الالمان ثمنا لتلك السيطرة ٢٣ ضابطا و ٣٩ جنديا ولم يكن فيه
غير حامية مؤلفة من مائتي رجل .

قدمت قرية بازيلس Bazeilles في تلك الحملة نفسها درسا تكتيكيا
مماثلا ، من ناحية قوة خط من البيوت مدافعا عنها جيدا . لقد استطاع
الجيش الالماني دحر الجيش الفرنسي في الميدان ودخل القرية بلا مقاومة .

ولكن احتاجت فرقة كاملة من الجيش ان تقاتل سبع ساعات في القرية حتى استطاعت شق طريقها من قلبها والخروج من الجهة الاخرى .

لقد اعتبرت الارض الجبلية دائمًا أنها صعبه على العمليات العسكرية بسبب طبيعة ممراتها وأوديتها . وما المدينة الا سلسلة ضخمة من تلك المرات والاوedioة التي شكلتها الشوارع والبنيات . ولهذا فان كل صعوبة تواجهها عمليات الجيش النظامي في الجبال تضاعف في المدينة مئات المرات اكثرب من ذلك . وان الصعوبة التي تواجهها قوة شعبية ، او غير نظامية ، من ناحية تأمين الطعام والامدادات في الجبال فتحل مشكلتها في المدن عن طريق عطف الجماهير حين تنزل الى الشوارع .

ان المبدأ الرئيسي الذي يجب ان يستخلص من الدراسة التي عالجناها هو ان الدفاع ذو اهمية عظيمة في مثل هذه الحرب التي قد تدعى قوة شعبية ، مثل جيش المواطن ، للاشتراك فيها . ولا نعني مجرد الدفاع السلي عن الواقع الذي هو غير ذي قيمة بعد ذاته ، وانما نعني الدفاع الايجابي النشط من نقطة يهدد موقعها تفوق العدو او وجوده . وهنـا تكتشف عبرية القائد في اكتشاف مثل تلك الواقع ، وتكتشف مهارة مساعديه في تحصينه واعداده ، ثم تأتي شجاعة الكل في الدفاع عنه . وان الجمع الخلاق بين العبرية والمهارة والشجاعة هو وحده الذي يعطي ثمرة النصر العسكري .

ان جيش المواطن Citizen Army وحركة المتطوعين الايرلنديين يرجـبـان بكلـ من يـرـغـبـ في ممارـسةـ هـذـهـ المـزاـياـ ★ .

★ كـتـبـتـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ مـاـمـ ١٩١٥ـ ، وـهـذـ حدـثـ تـفـيـرـاتـ كـثـيرـةـ مـنـ ذـلـكـ التـارـيخـ جـتـيـ الـيـوـمـ ، فـيـماـ يـتـلـقـ بـتـطـورـ الـاـسـلـعـةـ لـدـىـ الـجـيـوشـ النـظـامـيـةـ ، خـاصـةـ ، الـمـدـنـيـةـ وـالـدـبـابـاتـ وـالـطـيـرانـ - وـهـنـاـ خـاصـةـ الـهـيـلـوكـاـبـيـرـ الـمـسـفـحـ - . وـلـكـنـ فـيـ الـمـاقـبـلـ اـصـبـحـ اـمـكـانـاتـ توـفـرـ الـاـسـلـعـةـ المـاـدـةـ لـدـىـ قـوـةـ شـعـبـيـةـ اـكـبـرـ مـنـ ايـ يومـ مـضـيـ ، خـاصـةـ الـاـسـلـعـةـ الـخـفـيـةـ السـرـيـةـ - الـكـلاـسـيـنـكـوـفـ وـالـصـوـارـيـخـ المـاـدـةـ لـلـدـبـابـاتـ ، وـالـمـاـدـعـ الـغـيـفـيـةـ المـاـدـةـ لـلـطـيـرانـ ، الـجـانـبـ تـطـورـ تـكـيـكـ زـرـعـ الـلـامـ وـتـمـبـيـشـ الـقـنـابـلـ وـالـمـنـجـرـاتـ . لمـ تـؤـدـ هـذـهـ التـنـوـرـاتـ إـلـىـ تـفـيـرـ اـسـاسـيـ فيـ جـوـهـرـ مـوـضـعـةـ كـوـنـوـلـيـ حـولـ حـربـ

الشارع . ولكن اصبح من الضروري على قوة شعبية ، او نظامية ، تدافع عن مدينة او بلدة او قرية ، ان تركز على بناء الملاجئ للجماهير وتزويدها بالطعام والماء والمعادن الطبية واماكن نقاء الحاجة ودفن القتلى . الى جانب التوسيع في بناء ملاجئ مستشفيات لاستقبال الجرحى على ان تكون صفيحة الحجم ولكن واسعة الانتشار جدا . لقد اصبحت هذه المسألة ضرورة اساسية لتحمل قصف كثيف مركز تد يدوم اياماً كثيرة قيل ان تجرؤ القوة الناظمية المادية على احتلال المدينة او القرية . لأن من الممكن ان تتمدد تلك القوة المادية على عنصر التدمير الذي يستهدف تحطيم منشآت الجماهير والمقاتلين . ومن هنا كانت مسألة الماء في الحماية السلبية من قوة النيران ، والتمزيز السيكولوجي ضدها، بلعبان دورا حاسما ، خاصة ، في المراحل الاولى قبل ان حاول قوات العدو اقتحام المدينة والاشتباك في معارك شوارع ، من شارع لشارع ، ومن بيت لبيت .

اما من ناحية نصب الماء فيما زالت شكلًا من اشكال اقامة العرائض والسدود امام تقدم العدو ولكن مع دخول الدبابات الثقلية التي تستطيع تصفها وتجاوزها فقد اصبح من الضروري التركيز اكثر على زرع الشوارع بكل اشكال الانفاس المعاقة للدبابات مع حمايتها من مسافة بعيدة بقناصة ضد رجال المندسة وبرمأة الصواريخ ضد جسم الدبابة ، ورماء القنابل من التواند والاسطحمة . كما ان مقادرة اية عمارة سيدخلها العدو تقتضي ان تنشئ القنابل ب نقاط متفرقة تتحمل العدو يخوض معركة طويلة حتى بعد اخلائها من التواند . ان زيادة كثافة النيران التي يمكن ان يواجهها المدافعون في المراحل التحضيرية التي تسبق الاقتحام اصبحت تقتضي زيادة التوزيع الحصيف للقوات الدنائية بين قوات الواجهة الامامية التي يجب ان تكون محدودة قدر المستطاع ، وبين قوات الاحتياط التي يجب ان تبقى في ملاجئ وختائق محصنة جدا ، ولا تخرج الا عندما يصبح القتال قريبا في قلب الشوارع والبيوت ، مع ابقاء احتياط آخر للهجوم المفاجئ وحمايتهم - (الخروج من الخانق والملاجئ ضرورة بعد وقف القصف وبده معارك الشارع والاشتباك القريب) .

عندما تؤمن القضايا الاساسية آنفة الذكر يندو اقتحام المدينة من قبل قوات نظامية اشد صوابة من القتال في الجبال ، وتندو الالاق واسعة جداً لانتصار اولئك الذين يدافعون من مدينتهم او بلدتهم او قريتهم ، حتى ولو كان العدو متوفقاً بالسلاح والمدد . - المترجم -

فهرست

٥	الشجرة الحمراء
٧	مقدمة
١١	تمهيد
١٣	ثورة موسكو ١٩٠٥
١٩	الانتفاضة المسلحة في التيرول
٢٧	الثورة في بلجيكا
٣٥	الدفاع عن آلامو
٣٩	الثورة في باريس ١٨٣٠
٤٥	ليكسينغتون
٤٩	حربiran (يونيو) ١٨٤٨
٥٥	خلاصة حول قتال الشوارع

هذا الكتاب

مؤلف هذا الكتاب جيمس كونولي الثائر الإيرلندي الذي كان من أبرز قادة الحركة العمالية الإيرلنديّة ، وقاد ثورة دبلن ١٩١٦ وقد سقط جريحاً بيد الجيش البريطاني الذي نفذ به حكم الإعدام . فأصبح اسم كونولي منذ ذلك التاريخ حتى اليوم مصدر إلهام مستمر لحركة التحرر القومي الإيرلندي ، وللحركة العمالية الإيرلنديّة .

كتب جيمس كونولي هذه الدراسات بالفترة التي كان فيها للانتفاضة المسلحة ، وقد استهدف من ورائها تقييف جاهير الایرلنديين بدورهم سبع ثورات ، تتبع أحدهما بدقة ، ثم استخلص من كل واحدة منها اهم الدروس الخاصة بفن القتال في حرب الشوارع . وألخّقها بمقالة جامعة تلخص مهارات القتال في شوارع المدن .

يعتبر كتاب « حرب الشوارع »، على صفر حجمه ، مرجعاً رئيسياً في العلم العسكري ، لاغني عنه للقاريء العربي الذي به صر اتنا السلاح ضد العدو الصهيوني والذي لا بد من أنت تبتعد ، في بعض الحالات إلى قتال في المدن .

الثمن ١٥٠ فرنساً لبنانياً
او ما يعادلها

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بروت